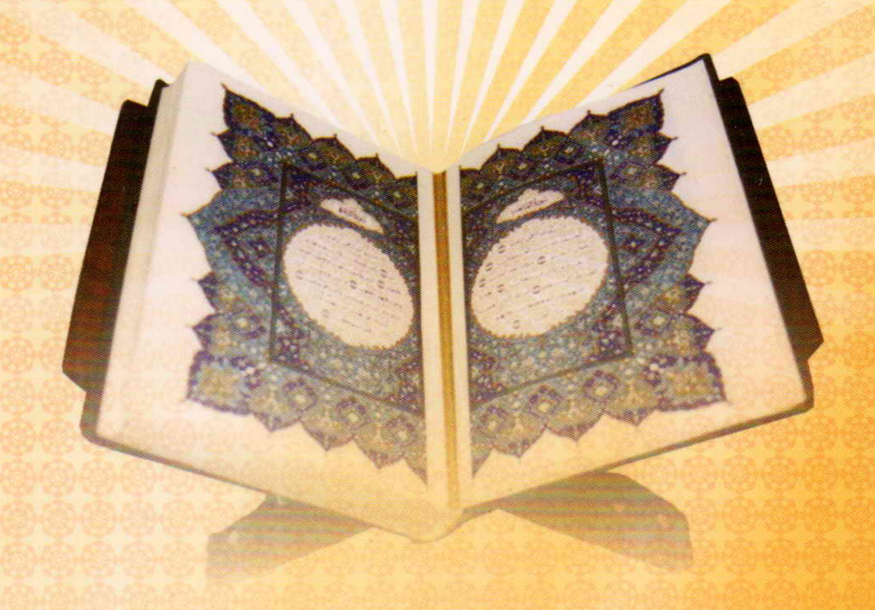


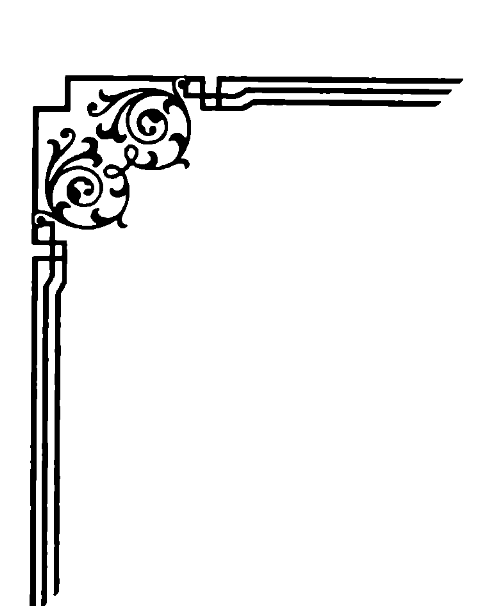
رصد تاريخي للأسباب والدوافع

«دراسة موجزة»



تأليف
السيد محمد علي الحلو

مؤسسة السبطين عليهما السلام العالمية



التحريف والمحرفون

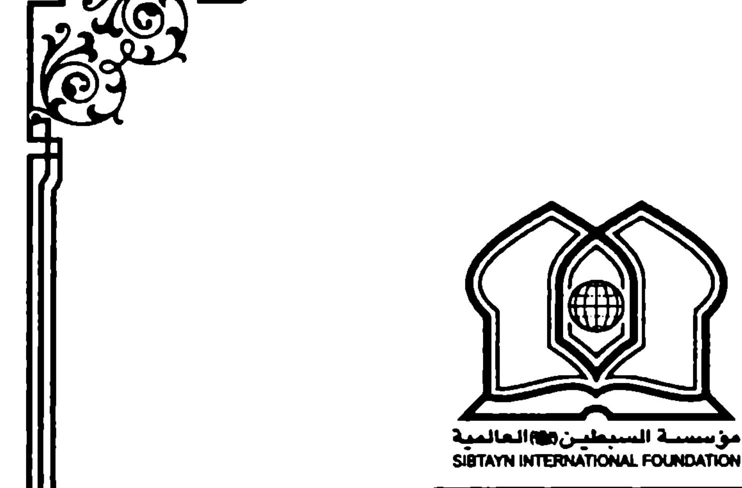
رصد تاريخي للأسباب والدوافع

«دراسة موجزة»

تأليف

السيد محمد علي الحلو

مؤسسة السبطين عليهما السلام العالمية

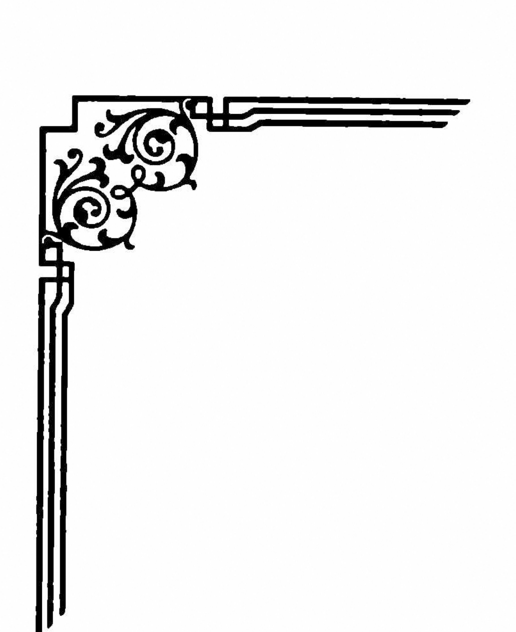


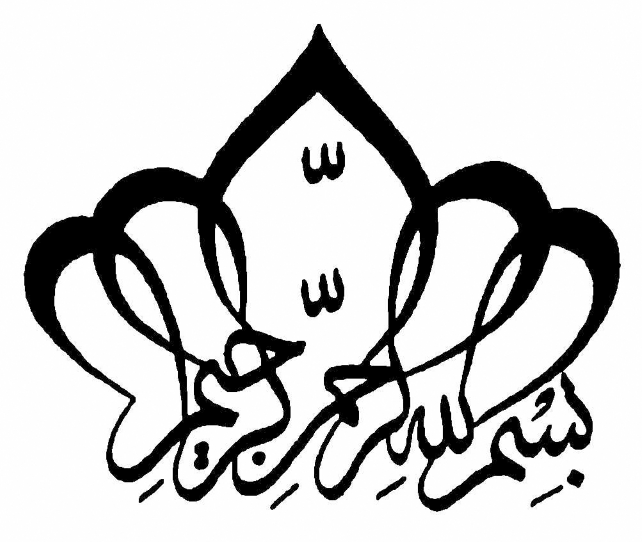
ايران - قم - شارع انقلاب - زقاق ٣٦ - رقم ٤٧ و ٤٩
هاتف: ٧٧٠٣٣٣٠ - فاكس: ٧٧٠٦٢٣٨
URL: www.sibtayn.com
E-mail: sibtayn@sibtayn.com

هوية الكتاب

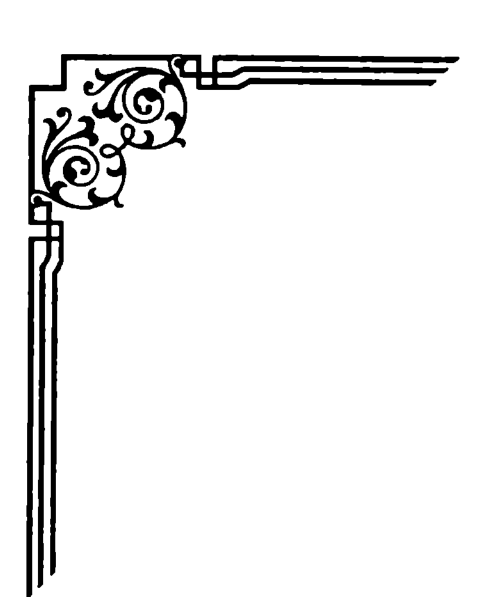
الكتاب: .... التحريف والمحرّفون، رصد تاريخي للاسباب والدّوافع
تأليف: .... السيد محمد علي الحلو
الناشر: .... مؤسسة السبطين (عليهما السلام) العالمية
الطبعة: .... الأولى
المطبعة: .... برهان
التاريخ: .... ١٤٢٦هـ. ق / ١٣٨٤ هـ. ش
الكمية: .... ١٥٠٠ نسخه
السعر: .... 12000 ريال

شابك: ٣-١٥-٨٧١٦-٩٦٤
ISBN: 964-8716-15-3




بسم الله الرحمن الرحيم


شبكة الفكر
alfeker.net



الإهداء

إليك يا مولاي يا أمير المؤمنين

جهد المُقل..

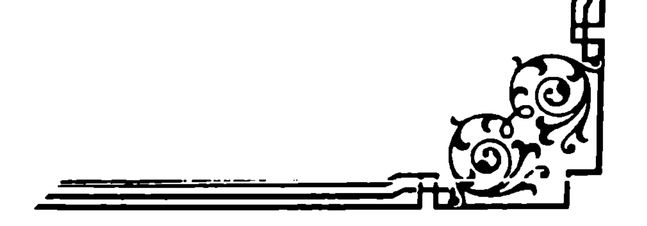
فإنّ الرصد التاريخي يكشفُ حقائق الأحداث..

الّتي تنازعتها «قيادة».

لتبقى شاهدةً على جهادكَ في الإبقاء على القرآن

محفوظاً بين الدفّتين.

محمد علي



كلمة المؤسسة

بعد بزوغ فجر الرسالة الإسلامية على ربوع البشرية، وبعدما أخذت تعاليمها السمحاء تدبّ في أوصال المجتمع الإنساني، وتمتدّ إلى كل أطرافه ونواحيه الفكرية والاجتماعية والسياسية و.... شاءت الإرادة الإلهية أن تكون هذه الشريعة خاتمة الشرائع السماوية ومسك الختام لها.

فكان من الطبيعي والحال هذه أن ترفدها بالعناصر والمقوّمات التي تتكفّل لها بدوام الحركة والاستمرار عبر العصور والأزمان المتوالية، وأن تتواءم مع واقع الحياة ومتطلباتها المتغيرة.

ولعلّ من أهم مقوّمات الشريعة الإسلامية تعهّد السماء بحفظ وصيانة القرآن الكريم ـ دستورها ومنهاجها السماوي ـ من أن تناله يد التحريف والتبديل والزيادة والنقصان، قال تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ وقال أيضاً: ﴿ وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ * لايَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلاَ مِنْ خَلْفِهِ ﴾ .

هـذه الحقـيقة الـتى أقـرّ بهـا جمـيع المسـلمين بكـل طوائفهـم ومشـاربهم، وفـي كـل عصـر ومصـر على مستوى النظرية، وصدّقها الواقـع العملي في حياتهم، فالقرآن الذي يتداوله المسلمون هو ذاته في شرق الأرض وغربها.

فـبات مـن المسـلّم أن يحـاط هـذا الوحـي الإلهـي المنزّل على الرسـول الأميـن محمدﷺ بهالة من التقديس والتبجيل، وأن يحوز مكانة مرموقة في الذهنية والوجدان الإسلامي.

لـذا قـام بعـض ضـعاف النفوس ومرضى القلوب الذين يكنّون الحقـد والعـداء لمدرسـة أهـل البيـتعليهم السلام وأتباعها، مستغلّين قداسة القرآن، قاموا بإلصاق تهمة تحريف القرآن بشيعة أهل البيتعليهم السلام.

فقـاموا بحمـلات محمومة في هذا المجال مستفيدين من بعض الثغرات التي لا تمثّل بأي حال من الأحوال الركائز التي يستند إليها الصـرح الفكـري لمدرسـة أهل البيتعليهم السلام، هذا من جهة، ومن جهة أُخـرى فـإن هـذه الهـنّات الموجـودة عندنا ـ التي لا يمكن أن تخلو منها مسيرة فكرية عمرها أكثر من ألف ومائتي سنة ـ لا تشكّل عشر معشـار مـا هـو موجـود فـي كـتب القـوم وصـحاحهم، والتـي تثبت وبشـكل قاطع أن أصحاب هذه الكتب والمؤمنين بها هم من يمكننا أن نـتهمهم بالـتحريف، فـلا يسعنا إلاّ أن نتمثّل بقول القائل: «رمتني

بدائهـا وانسلت» ومـن هنا ولإماطة اللثام عن وجه الحقيقة، ولفضح زيـف الادّعـاءات المغرضة، قام علماء الشيعة الذين انتهلوا من نمير علـوم آل محمـدﷺ بالـرد علـى هـذه الشـبهات ودحضـها بالحجّة القاطعـة والدلـيل السـاطع، فبحـثوا وكـتبوا وألّفـوا فجـزاهم الله خير جـزاء المحسـنين، ومـن بيـنهم باحثـنا ومؤلفـنا السـيد محمـد علـي الحلـو... الـذي أجـاب عـن شـبهة الـتحريف هـذه وبحـثها بأُسلوب علمـي وشـيّق تـناول فـيه جذورهـا ودواعيها وعالجها معالجة علمية مشـفوعة بالشـواهد والأدلّـة مـن كتب أهل السنة، فجاء هذا البحث منـتظماً ضـمن هـذا الكـتاب الـذي بيـن يديك، والذي جاءت فكرة تألـيفه على ضوء توجيهات سماحة آية الله السيد مرتضى الموسوي الأصـفهاني دام ظلـه راعـي مؤسسـتنا مؤسسـة السبطين عليهما السلام العالمية والتـي عمـدت إلـى طـبعه ونشـره لتضـعه بيـن يـدي طلاب الحقيقة الذيـن يسـمعون القول فيتّبعون أحسنه، راجين من المولى جلّ وعلا أن يهدينا وجميع المسلمين إلى سواء السبيل إنه سميع مجيب.

مؤسسة السبطين عليهما السلام العالمية

٢٨ صفر ١٤٢٦هـ.ق

المقدمة

بالرغم من التطوّر التقني الذي اقتحم تقليديات البحث والتحقيق، وبالرغم من سهولة الوقوف على قضية تأخذ أطراف الجدل فيها كلّ مأخذ، فإنّ تهمة التحريف تبقى غضّة طريّة متى ما تفاقمت أزمة الصراع بين الفرقاء، ولعلّ الإصرار الذي تبديه بعض الأطراف في الإبقاء على تفعيل هذه التهمة تدخل في نطاق خطّة المعادلات المذهبية المنتهجة من قبل البعض. أي أنّ التحالفات الطارئة بين المذاهب الإسلامية تبدو ترتيباتها واضحة بعد أن تتحالف فيما بينها لتصفية حساباتها مع المذهب الإمامي، وكأنها إجراء احترازي تقليدي متّبع، لتتصاعد وتائر الإتهامات وتوجيه اللائمة على المذهب الإمامي في مسألة التحريف.

لم تعد هذه التهمة في الوسط الثقافي الإسلامي تثبتُ مصداقيتها عدا ما تروّجه بعض التحزّبات السياسية وتحالفات القوى التي من شأنها أن تبدّل الصراع من نقاش علمي موضوعي إلى صراع حقيقي يأخذ أبعاده على مستويات خطيرة من العمل.

ففي ظلّ الثورة المعلوماتية التي أحدثتها وسائل الاتصال تتفاقم

أزمة الاتّهامات ويعمدُ بعض الإسلاميين إلى ترويج تهمة التحريف، محاولين فرض نفوذهم على العقلية الإسلامية لأخذها في متاهات الاسقاطات الطائفية وافتعال أزمات داخل الأُمة الإسلامية.

ففي غضون هذه العولمة الثقافية كان من المفترض أن تخفّ حدّة هذه الصراعات الفكرية حيث الوصول إلى الحقيقة بات أمراً يسيراً، في حين نجد أنّ تصاعد الاتّهامات تأخذ وتائرها بالازدياد، ويحاول مروّجو هذه الأزمات إلى إشعال فتيلها دائماً.

وإذا كانت حركة المعلومات تُبدي فشلها في بيان الحقائق ونزع فتيل تهمة التحريف، فإنّ آليات التحقيق لم تُعدم قطّ، فلدى الباحث ما يؤهّله للوصول إلى الحقيقة، ويبقى الرصد التأريخي حافلاً بكثير من الحقائق التي من شأنها أن توقف عجلات هذه التهمة وعرقلة فاعليتها في سحق قيم البحث العلمي والتحقيق الموضوعي.

فالرصد التأريخي لمواقع الخلل التي انبثقت منها تهمة التحريف تبدو غير عسيرة التشخيص، فالمعطيات التاريخية تحدّد دوالّ الاتّهام وتوقف الباحث على دواعي التحريف التي سبّبتها ظروف سياسية غير رشيدة، أو فكرية غير ناضجة، أوشخصية غير حكيمة.

إنّ عقلانية البحث الحرّ تُحتّم الوقوف على موارد الأسباب والدوافع التي انبثقت من خلالها التهمة، وفي الوقت نفسه تعمل على

منع نقل الصراع من الماضي السحيق إلى الحاضر الزاخر بحيويّة البحث، والترفّع عمّا يشين العقليّة المتفتّحة إلى غدٍ مشرقٍ جميل.

شكرٌ وتقدير

ومن دواعي التقدير أن أُسجّل إلتفاتة سماحة آية الله السيّد مرتضى الموسوي الإصفهاني الذي أشار لي بتفاقم شبهة التحريف لدى العديد من الأوساط الإسلاميّة، ورأى خطورة غضّ النظر عن هذه المشكلة، ما لم تكن هناك إشارة ـ ولو أوّليّة ـ إلى هذه التهمة وأبعادها، ووجدت ذلك حقّاً من الضرورة بمكان لايمكن السكوت عنه، ما لم أُشِرْ إشارات تاريخيّة تلفت انتباه العديد ممّن تورّط في تصديق هذه الشبهة، والتعامل معها على أساسٍ عاطفي غير رشيد.

وأشكر بعد ذلك مؤسسة السبطين عليهما السلام العالميّة التي أبدت رغبتها في نشر الكتاب وإخراجه إلى النور.

محمّد علي

السيّد يحيى السيّد محمّد الحلو

شوال ١٤٢٥ هـ. ق

قبل البحث

لـم يـتفاجأ الـبعض إذا مـا وقـف علـى تأكيدنا في التركيز على جهـد الخلـيفة الثانـي عمـر بـن الخطـاب ضـمن بحـوث الأسـباب والدوافـع الداعـية للقـول بالتحريف، ولعلّ الباحث التاريخي سيجد مـبرّرات التركـيز حاضـرة لـدى ذهنيّـته التاريخـية والتـي تسـتحثّه باستذكار مواقف الهيمنة والسطوة لدى الخليفة الثاني.

فقـد كـان لفـرض آرائـه دور كبـير فـي تغيـير المسـار الفكري لطائفـة مـن المسلمين، وكان لاعتقاده بتحريف القرآن ونقصانه أثر فـي تنامي هذا الشعور وتصاعد وتائره بشكل يثير القلق. إذ أنّ كثيراً مـن الآراء الاجتماعـية التـي فرضـها الخلـيفة الثانـي علـى الشـريعة المقدّسـة بعـنوان «تعديـلات» أضـحت تـأخذ مأخذهـا فـي المسـار الفكـري لـبعض المذاهـب الإسـلاميّة، حتّى باتـت تنافس ما يقرّره الوحي وتعارضه في كثير من المواقف، ممّا أباح للخليفة ولغيره من مقلّديه السير على منهج الاجتهاد مقابل النصّ.

وإذا كـان هذا التحزّب الفكري ـ الثقافي يؤثّر أثره في المسيرة

الإسلاميّة على المدى البعيد، فإنّ لهواجس القلق الذي تملّك شعور كثير من المسلمين جرّاء ما اتخذه الخليفة من قرارات «التعديل» أو «التغيير» أو «الرفض» ما يبرّرها، فحيثيّات الاجتهاد مقابل النصّ تبرز شاخصة على المستوى السياسي، الذي أبرز: فكرة السقيفة.

وعلى المستوى الاجتماعي، الذي أفضى إلى تنامي الطبقية المفرطة من خلال التفرقة في توزيع العطاء.

وعلى مستوى التشريع الذي أعلن الخليفة «متعتان حلالتان كانتا على عهد رسول الله وأنا أُحرّمهما وأُعاقب من يعمل بهما» حسب تعبيره، فألغى: ما قرّره القرآن الكريم من جواز المتعة بقوله تعالى: ﴿ فَمَا اسْتَمْتَعْتُم بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً﴾ وما أقرّه النبيّ ﷺ من فعل أصحابه بالتمتّع بالنساء.

وعلى المستوى العسكري، الذي فتح ثغرة التوسّع والفتوحات غير الرشيدة ـ كما سيأتي في مطاوي البحث ـ إلى غير ذلك، ما فتحت قريحة الخليفة في: الاجتهاد مقابل النصّ.

ولم تقف آراء الخليفة في هذا المضمار حتّى في أواخر أيام حياته ـــ ولعلّ لذلك أسبابه النفسيّة ودواعيه المزاجيّة ـ حيث وجد نفسه مدفوعاً بدوافع الرغبة في الهيمنة الفكرية التي تأخذه باطّراد إلى أن يعلن للملأ عن آرائه في نقصان بعض نصوص القرآن. فقد

ادّعى أنّه سمع عن النبيّ صلى الله عليه وآله آية الرجم وكونها قد أُسقطت من القرآن والآن لديه الرغبة في إقحام ما يراه قد أُسقط، ولعلّ لذلك دواعٍ نفسيّة خطيرة يجدُ من ورائها الرغبة في «تسجيل» سابقة الإضافة في القرآن الكريم، فإنّ تلكُّؤ الخليفة في العديد من قرارات الدولة وما في ذلك من أثر سلبي ينعكس على شخصيّته العلميّة أو جهله بكثير من الأحكام، ألقى بظلاله على شخصيّة الخليفة فنزع إلى الرغبة في فرض سطوته أو هيمنته على النظام التشريعي، كما فرض آراءه على النظام السياسي من قبل.

إذن فدعوى الخليفة بأنّ في القرآن نقصاً يأتي ضمن محاولات الخليفة لإعادة ترتيب شخصيّته التي تعصف بها مواقف المعارضة التي كان يتزعّمها عليّ بن أبي طالب عليه السلام والتوهّج العلمي الذي عُرف به، حتّى بدا ذلك واضحاً في وجهة النظر التي يحملها المسلمون لعليّ عليه السلام والتي تنطوي على الاحترام والتبجيل، بل دعت هذه المواقف إلى إعادة نظر بعض المسلمين في موقفهم العاجل من تأييد قرارات السقيفة وإبعاد عليّ عليه السلام عن الحكم.

إذن فقد كان التنافس على أشدّه بين الخليفة وبين المعارضة التي تدين تلكّؤات الخليفة في أجوبته بسبب عجزه العلمي، وهنا على الخليفة أن يتلافى هذا العجز باتخاذه لقرارات عجولة (آنيّة)

توقف انتقاد المسلمين له ولغيره بسبب فقره العلمي وعدم قدرته على إعطاء الأجوبة التي يتّكىء فيها دائماً على آراء المسلمين خصوصاً عليّ بن أبي طالبعليه السلام حتّى قال قوله المشهور: «لولا عليّ لهلك عمر».

ومن غير المعقول أن يرتضي ذلك المسلمون، عندما يرون عجز خليفتهم العلمي ما أثار حفيظة بعضهم معترضاً على الخليفة هذا التخلّف واعتذر الخليفة بأنّ الذي كان يشغله عن سماع النبيّصلى الله عليه وآله «الصفق في الأسواق» ـ كما سيأتي ذلك قريباً ـ إذن فلابّد للخليفة من إعادة اعتباره وهو يعيش في مخاضات سياسيّة خطيرة تكاد تهوي به إلى منزلقات أعمق وأخطر، فإذن قراراته في تعديلات الأحكام واعتراضاته تنشأ من نزعته النفسيّة في الحفاظ على هيبته وسطوته، وكان للنصّ القرآني حظّه من هذه النزعة التي يعيش«محنتها» الخليفة.

هذه الإجراءات أثارت حفيظة بعض المسلمين في الاجتهاد مقابل النصّ وفتحت باب الآراء التي تقتحمُ النصوص الشرعيّة ومنها النصّ القرآني ما دعا إلى أن يرى البعض أنّ في القرآن نصوصاً سمعها عن النبيّصلى الله عليه وآله ولم تُثبّت قرآنياً، وهي دعاوى خطيرة حقّاً كان واضعها رأي الخليفة الثاني ومحاولاته في الاجتهاد مقابل النصّ ما يعني أنّ للخليفة زعامة التحريف.

تاريخية الصراع

لـم نجـد أوهـن مـن مقالـة الـتحريف إلاّ أنّـنا لـم نجـد أشرس ضراوة مـن معـركة بيـن فريقيـن يـتّهم كلّ فريق مقابله بالتحريف، ولعـلّ مقالـة الـتحريف وجدت طريقها في الصراعات المذهبية، بل وجـدت الـتحالفات السياسـية «بغيـتها» فـي الدفـاع عـن القـرآن والحـرص عليه لتحاول محاربة الآخر، وللأسف كاد القرآن يكون وسيلة للقـتال، بـل للتكفير بين الفرقاء، فهذا المأمون العباسي يعمد إلى تصفية خصومه لقولهم بعدم خلق القرآن فيقتل عدداً لا يُستهان بـه مـن الأشاعرة الذين رفضوا القول بمقالة المأمون في ذهابهم إلى عـدم خلق القرآن، وذاك المتوكل يؤسّس قوّته على نقيض ما أعلنه المـأمون من خلق القرآن، حيث أعلن مقالة عدم خلق القرآن وقدّم رقـاب مخالفـيه إلـى سـيوف التصـفية والاجـتذاذ، فكـان نصـيب المعـتزلة مـن موقـف المـتوكل المعـارض لخلـق القـرآن القـتل والتنكـيل، ويـبقى شيعة أهل البيتعليهم السلام تبعاً لأئمتهم بمنأى عن هذه «اللعـبة» وفـي نجـاةٍ مـن محاولات التصفيات السياسيّة حيث التزموا بمقالـة «القـرآن كـتاب الله» وبذلـك تـرفّعوا عـن مهاتـرات الطعـن

السياسي وقبضة التصفيات السياسيّة المحسوبة.

وحيث لم يكن للشيعة نصيب من هذه التصفيات بعد أن أفلتوا من قبضة السلطة للتنكيل بهم، فطن الفرقاء ـ الذين وقعوا ضحيّة هذه اللعبة السياسيّة ـ إلى خسارة حصيلة الصراع وهشاشة الموقف الذي ينبغي اتخاذه سدّاً لطريق الذرائع السياسيّة من محاولة التصفية العارمة التي طالت أقطاب معارضة النظام تحت شعار «الدفاع عن القرآن» عمد هؤلاء إلى التحالف ضدّ خصومهم الفكريين من الشيعة، فغالوا في اتهامهم وإلصاق تهم التكفير بهم «حرصاً على كتابهم المقدس» من أن تناله محاولات التحريف الذي اتهموا الشيعة بترويجه، وهي مناورة غير موفّقة، إذ أنّ تاريخ التحريف يبتدئ منذ الصدر الأول للإسلام، كدواعٍ تختلف مناشئها وأسبابها لزجّ الفرقاء المتخاصمين في ورطة القول بالتحريف.

لم نجد ما يدعو إلى القلق، فتهمة التحريف لم تحقّق أغراضها وكتاب الله محفوظ بين الدفّتين يتداوله المسلمون جميعاً، إلاّ أنّ مقالات التحريف لا زالت تأخذ طريقها في المعركة بين الفرقاء وتتصاعد وتائر الاتهامات بين الفريقين حتّى كأنّ المتتبّع يُخال له أنّ قرآن أُولئك غير قرآن هؤلاء، وهي بالفعل تهمة. حاول خصوم الشيعة ترويجها دون العثور على أدنى دليل يثبت التهمة، بل حتّى

أتباع المذهب السنّي شعروا بالملل من هذه التهمة التي روّجها علماؤهِم ضد خصومهم الشيعة، إذ لم يستطيعوا حتّى هذه اللحظة أن يُقَدِّموا لأتباعهم ما يثبت تهمتهم ضد الشيعة سوى التهم التي تُجهّزها دوائر التكفير السلفي التي اعتادت خلق تهم التكفير ضد الخصوم لتحقيق غاياتها، فلم يكن الشيعة وحدهم تحت مطرقة التكفير، بل طالت هذه المطرقة خصوم الحنابلة من الشافعية.

فهذا الطبري دفن ليلاً خوفاً من هياج الحنابلة وإغراء العامّة به «وفي هذه السنة ـ سنة ثلاثمائة وعشرة ـ توفّي محمّد بن جرير الطبري صاحب التاريخ ببغداد ومولده سنة أربع وعشرين ومائتين، ودفن ليلاً بداره، لأنّ العامّة اجتمعت ومنعت من دفنه نهاراً، وادّعوا عليه الرفض ثم ادّعوا عليه الإلحاد، وكان علي بن عيسى يقول: والله لو سئل هؤلاء عن معنى الرفض والإلحاد ما عرفوه ولا فهموه، هكذا ذكره ابن مسكويه صاحب تجارب الأُمم، وحاش ذلك الإمام عن مثل هذه الأشياء.

وأمّا ما ذكره من تعصّب العامّة فليس الأمر كذلك، وإنّما بعض الحنابلة تعصّبوا عليه ووقعوا فيه فتبعهم غيرهم، ولذلك سبب، وهو: أنّ الطبري جمع كتاباً ذكر فيه اختلاف الفقهاء لم يصنّف مثله ولم يذكر فيه أحمد بن حنبل، فقيل له في ذلك، فقال: لم يكن

فقيهاً وإنّما كان محدّثاً، فاشتدّ ذلك على الحنابلة وكانوا لا يحصون كثرة ببغداد، فشغبوا عليه وقالوا ما أرادوا»[1]، وابن الأثير يصوّر الأحداث المتشنّجة بين الحنابلة والشافعية واغراء العامّة بمشايخ الشافعية وتكفيرهم.

ولم يكن ابن الجوزي الحنبلي بمنأى عن هذا الصراع، فقد أغرى بتأجيج الصراع بين الحنابلة والشافعية إلى الحدّ الذي أسقط معه الحرمة العلميّة لخصوم أحمد، فقد شنّع ابن الجوزي على عبدالكريم بن محمّد السمعاني الشافعي المتوفّى «٣٦١» حيث طعن عليه بحجة أنّه «كان يتعصّب على مذهب أحمد ويبالغ، فذكر من أصحابنا جماعة وطعن فيهم بما لا يوجب الطعن»[2] بل ذهب ابن الجوزي في الطعن على السمعاني إلى أبعد من ذلك حيث اتهمه بالكذب وشنّع عليه وانتقص منه فقال: «وهذا الرجل كانت له مشقعة عجيبة، فإنّه كان يأخذ الشيخ البغدادي فيجلس معه فوق نهر عيسى ويقول حدثّني فلان من وراء النهر، ويجلس معه في رقّة بغداد ويقول حدثني فلان بالرقّة»[3].

(١) الكامل في التاريخ لابن الأثير: ٦ / ١٧٠ حوادث سنة ٣١٠.

(٢) المنتظم لابن الجوزي: ١٠ / ٢٢٤ في حوادث سنة ٥٦٣.

(٣) نفس المصدر .

ولـم يقتصـر الأمـر على أصحاب الشافعي، بل طال هذا الصراع التكفـيري أبـا حنـيفة واتّهامـه بالكفـر والزندقة، فالخطيب البغدادي يروي في تاريخه ما تحدّث عنه أصحاب أحمد في كفر أبي حنيفة واتهـامهم لــه فـيما رواه عـن عـبدالله بـن حنـبل عـن معمّر قال: قيل لشريك: ممّ استتبتم أبا حنيفة؟ قال من الكفر[1].

وعـن يحـيى بـن حمـزة، قـال حدّثنـي شـريك ـ وهو شريك بن عبدالله قاضي الكوفة ـ : أنّ أبا حنيفة استتيب من الزندقة مرّتين[2].

ويخـرج هـذا الصـراع عـن نطاق الصراع بين الفرقاء والخصوم لـيدخل مـرحلة مـتقدّمة من الصراع الفكري بين الحلفاء، أي داخل الفريق الواحد وضمن المذهب الواحد.

فسـفيان الـثوري وهـو أحـد أتـباع أبـي حنـيفة يصـرّح بعدائـه لأستاذه واختلافه معه حتّى أنّه يتّهمه بالكفر ويستتيبه منه.

فعــن أبــي حفــص عمــرو بــن علــي قــال: ســمعت معــاذ ابــن معــاذ يقــول : ســمعت ســفيان الــثوري يقــول : اســتتيب أبــو حنــيفة مــن الكفــر مرتيــن[3] بــل فــي روايــة يعقــوب:

---

(١) تاريخ بغداد للخطيب البغدادي ١٣: ٣٩٣.

(٢) تاريخ بغداد للخطيب البغدادي ١٣: ٣٩٣.

(٣) تاريخ بغداد للخطيب البغدادي ١٣: ٣٩٣ ـ ٣٩٥.

مراراً[1]. وفي أُخرى: أنّ سفيان الثوري يقول: إنّ أبا حنيفة استتيب من الزندقة مرتين[2]. وفي ثالثة: أنّ سفيان الثوري يوعز استتابة أبي حنيفة لأصحابه فيقول: لقد استتابه أصحابه من الكفر مراراً[3].

ويحمل أحد تلامذته توبة أبي حنيفة من الزندقة على عاتقه فيؤكّد سفيان بن عيينة أنّه «استتيب أبو حنيفة من الدهر ثلاث مرات»[4].

إلاّ أنّ أبا داود السجستاني صاحب السنن يلخّص ما أجمعت عليه مذاهب أهل السنّة من تضليل أبي حنيفة.

فقد روى أبو بكر محمّد بن عبد الله بن صالح الأسدي الفقيه المالكي، قال: سمعت أبا بكر بن أبي داود السجستاني يوماً وهو يقول لأصحابه: ما تقولون في مسألة اتفق عليها مالك وأصحابه، والشافعي وأصحابه، والأوزاعي وأصحابه، والحسن بن صالح وأصحابه، وسفيان الثوري وأصحابه، وأحمد بن حنبل وأصحابه؟ فقالوا له: يا أبا بكر لا تكون مسألة أصحّ من هذه. فقال: هؤلاء

---

(١) المصدر السابق.

(٢) المصدر السابق.

(٣) المصدر السابق.

(٤) المصدر السابق نفسه.

كلّهم اتّفقوا على تضليل أبي حنيفة[٤]. ومهما يكن من أمر فإنّ الصراع بين المذاهب يأخذ منحى التكفير ولم يقتصر على حالات الخلاف الفكري.

وإذا كان الأمر كذلك فمن المتوقّع جداً أن ينال الشيعة الإمامية ما تناله المذاهب الأُخرى من هذه الصراعات، إلاّ أنّ الغريب أنّ الصراع بين هذه المذاهب الإسلامية وبين المذهب الشيعي يأخذ طابعاً آخر، فبقدر ما تظهره صورة العداء والوقيعة بين مذاهب أهل السنّة، إلاّ أنّ تحالفاً يظهر في أُفق الصراع السياسي والعداء الفكري حينما تصل النوبة إلى المذهب الإثني عشري، وسيكون لهذا الصراع بين الفرقاء السنّيين شأنه في التحالف ضد خصمهم التقليدي «المذهب الإثني عشري».

فهم يفتتحون عداءهم بتغيير التسمية إلى لقب «الرافضة» إمعاناً في التنكيل وإظهاراً للتحالف التاريخي ضدّهم، ولعلّ التسمية أخذت طابعها السياسي حتّى كاد خصوم أهل السنّة لا يسلمون من النقد إلاّ وتلصق بهم تهمة الرفض.

ولم تزل هذه التسمية تُعدّ حالة استنفار لدى جميع المذاهب لتتحشّد ضدّ خصومهم التقليديين، فبقدر ما يكون هناك عداء بين أصحاب مالك وخصومهم الحنفيين، أو بين أصحاب أحمد

وخصومهم الشافعيين، أو بين هؤلاء، أو أُولئك، إلاّ أنّ الصورة سرعان ما تأخذ مساراً آخر حينما يصل الأمر إلى الشيعة الإثني عشرية فتذوب هذه الخصومات التقليدية بين الجميع لتتّخذ موقفاً موحّداً ضدّ الخصوم «الروافض».

ولم نجد ما يدفع الإمامية إلى تأجيج حالة الصراع بين المذاهب الأُخرى، بل لم نجد محاولات التنكيل من قبل الشيعة في نبز خصومهم الفكريين بأي لقب كان، فهم إذا أرادوا أن يطلقوا على أصحاب مالك، أو أصحاب أحمد، أو أصحاب الشافعي، أو أصحاب أبي حنيفة، فإنّهم لا يتعدّون عن تسميتهم «بأهل السنّة» وهي التسمية التي لا تثير أصحاب هذه المذاهب، بل هي في موضع الاعتزاز لديهم، أي لم نجد لدى الإمامية استعدادهم في إثارة خصومهم الفكريين حتّى نبز الألقاب، وهي نقطة رائعة تسجّل لهم مشفوعة بالاحترام بقدر ما يحملون احتراماً لخصومهم، أي لا يتعدّى نزاع الإمامية مع خصومهم حالات الحوار والتفاهم، في حين يذهب المؤرّخون إلى أنّ بقيّة المذاهب الإسلامية تتعدّى في خلافها مع خصومهم الإمامية إلى حالات تنكيل وتقتيل، ولعلّ هذا ما أثار الخليفة العباسي الشافعي «الراضي بالله» إلى التنديد بهذه الحالة والتزام موقف الدفاع عن الإمامية في رسالة استنكار بعثها

إلى الحنابلة يؤنّبهم على تماديهم في الانتقام من خصومهم الإمامية والتشنيع عليهم ومحاولة وقف الانتهاكات المستمرّة حيال الشيعة، ولعلّ الرسالة التالية تُعدّ وثيقة تاريخية تحكي حدّة الصراع الفكري الذي أخذ منحى القسوة والبطش والتنكيل بالشيعة من قبل خصومهم.

فقد وجّه الراضي بالله الخليفة العباسي الشافعي المتوفّي (٣٢٩هـ) رسالة تحذير إلى الحنابلة يحذرّهم فيها اجراءاته بشأن الحدّ من تماديهم في عداء خصومهم الإمامية وهذا نص الرسالة:

«تأمّل أمير المؤمنين أمر جماعتكم، وكشفت له الخبرة عن مذهب صاحبكم، زُيّن لحزبه المحظور، ويُدلي لهم حبل الغرور، فمن ذلك تشاغلكم بالكلام في ربّ العزّة تباركت أسماؤه، وفي نبيّه والعرش والكرسي، وطعنكم على خيار الأُمة، ونسبتكم شيعة أهل بيت رسول الله ﷺ إلى الكفر والضلال، وإرصادهم بالمكاره في الطرقات والمحال، ثم استدعاؤكم المسلمين إلى الدين بالبدع الظاهرة، والمذاهب الفاجرة التي لا يشهد بها القرآن ولا تقتضيها فرائض الرحمان، وإنكاركم زيارة قبور الأئمة صلوات الله عليهم، وتشنيعكم على زوّارها بالابتداع. وأنكم مع إنكاركم ذلك تتلفّقون وتجتمعون لقصد رجل من العوام « أحمد بن حنبل» ليس بذي

شرف ولا نسب، ولا سبب برسول الله ﷺ وتأمرون بزيارة قبره والخشوع لدى تربته، والتضرّع عند حفرته، فلعن الله ربّاً حملكم على هذه المنكرات ما أراده، وشيطاناً زينّها لكم ما أغراه، وأمير المؤمنين يقسم بالله قسماً جهد إليه، يلزمه الوفاء به، لئن لم تنصرفوا عن مذموم مذهبكم ومعوجّ طريقتكم، ليوسعنّكم ضرباً شديداً، وقتلاً وتبديداً، ويستعملنّ السيف في رقابكم، والنار في محالكم ومنازلكم، فليبلغ الشاهد منكم الغائب، فقد أعذر من أنذر، وما توفيق أمير المؤمنين إلاّ بالله عليه يتوكل وإليه ينيب»[1].

والرسالة وثيقة مهمّة لمقطع تاريخي من الصراع الذي تعرّض إليه الإمامية من قبل خصومهم.

ولم نقصد من استعراض هذا الصراع الفكري الذي تحوّل إلى عنف سياسي ونزاع طائفي إلاّ لبيان تاريخيّة هذا النزاع، وبالتأكيد فإنّ هذه النزاعات ستخلّف وراءها كيلاً من التهم بين الفرقاء، ولعلّ القرآن الكريم سيكون محور هذا النزاع، لبيان كل فريق حرصه عليه واتهام الآخر بالطعن به، ويؤدّي هذا المنحى من العداء إلى نشوب تهمة التحريف ومحاولة اتّهام كلّ فريق بالطعن بحرمة

(١) الأديان والمذاهب بالعراق/ رشيد الخيون: ٤١٠ عن تجارب الأُمم لابن مسكويه: ٣٢٢.

القرآن وقداسته، إلاّ أنّ الشيعة سينالهم القسط الأوفر من هذه الخصومة لتصوّرها العقلية العامّة إلى حقيقة لا نزاع فيها حتّى أنّها تناست مشكلة النبز بالتحريف فيما بينها، لتُفرغ وسعها إلى اتّهام الشيعة بمشكلة التحريف.

ولم يكن بوسعنا أن نراهن على صحّة مدّعيات المذاهب الإسلامية في اتّهامها للشيعة بالتحريف ونحن نملك سيلاً من روايات الزيادة التي روتها كتب المذاهب الاسلامية في مسألة التحريف، كحذف آيات من القرآن الكريم، ورواية بعضها لآيات كان يفترض رواتها أنّها من القرآن، إلاّ أنّها لم تكن قد أُدخلت في القرآن.

ولعلّنا نجد أنّ الخليفة الثاني يتزعّم قضية دعوى الزيادة في القرآن ويدافع عنها، لولا خشيته من اعتراض المسلمين، فقد اشتهر عنه قوله: «ولولا أنّ الناس يقولون زاد في كتاب الله لكتبته حتّى أُلحقه بالكتاب»(١). وكونه يحتلّ موقع الزعامة في مسألة الزيادة في القرآن، لما يحتلّه من موقع الخلافة الإسلامية الذي يجعل لكلامه أثراً لدى أتباعه ومعتقديه، هذا من ناحية، ومن ناحية أُخرى كونه أوّل من أعلن وتحدّث في هذا المضمار، إذ لم يكن لأبي بكر

(١) السنن الكبرى ٤ / ٢٧٢.

سابقة في هذا المجال، إمّا لعدم اعتقاده بالزيادة أو لهشاشة موقفه السياسي بعد إعلان تمرّدات المسلمين على خلافته واتّهامها بالردّة فانشغل في إسكاتها في حروب عنيفة عُرفت بحروب الردّة، فضلاً عن أنّ هناك مرحلة «احتواء الحديث النبويّ» الذي كان الخليفة الأوّل مشغولاً في ترتيبه ومعالجة هيمنة الحديث النبويّ على برامج الخليفة السياسية التي لابدّ من تنفيذها ومع وجود الحديث فإنّ ذلك يُعدّ مستحيلاً، لذا حاول تصفية الحديث النبويّ، كما حاول تصفية خصومه السياسيين أمثال سعد بن عبادة وشلّ حركة المعارضة العلوية وتطويقها في بادئ الأمر، ومع هذه الظروف السياسية فلا يتسنّى للخليفة الأوّل التحدّث في مسألة الزيادة أو النقيصة في القرآن فضلاً عن كونه رفع شعار «حسبنا كتاب الله» كما رفعه صاحبه إبّان أُخريات حياة النبيّ صلى الله عليه وآله فكيف والحال هذه يتعرّض لمسألة القرآن وزيادته؟

في حين وجد عمر بن الخطاب بعد الاستقرار السياسي الذي عاشه عهده مجالاً لطرح آرائه في الزيادة في القرآن ومحاولة تعديله إلاّ أنّ ذلك بقي لم يتسنَّ له، لتطويقه بالمعارضة القوية التي يتزعّمها عليّ بن أبي طالب عليه السلام وقتذاك ولم يتح لمثل هذه المحاولات النجاح في ظلّ تصدّي عليّ بن أبي طالب عليه السلام لأيّة خروقات تحدث، لتمسَّ بواقع الشريعة وحقيقة الأحكام الإسلامية،

فكيف بالقرآن الذي يُعدّ دستور المسلمين وله من القداسة ما تفوق سطوة الخليفة الثاني وهيمنته؟

إذ من غير الممكن نجاح خطوة الخليفة في إدخال زياداته في القرآن ويبقى الأمر مجرّد أُمنية يتمنّاها الخليفة.

ولم تكن عائشة بنت أبي بكر بمنأى عن هذا الجدل الدائر في أروقة محافل المسلمين، فقد أدلت بدلوها في مسألة الزيادة لما ترى في نفسها من أهلية الدخول في المعترك الثقافي فضلاً عن المعترك السياسي، وكون الأوّل إحدى مكمّلات الحالة السياسية التي يكافح الفرد من أجلها، كما سيأتي لاحقاً.

وهكذا تتزايد حدّة الصراع بين القائلين بالزيادة والنقصان في القرآن الكريم وبين النافين، وما تتدخّل في ذلك من عوامل سياسية وثقافية واجتماعية متعدّدة.

الأسباب والدوافع

لـم تكـن ظاهـرة القـول بـتحريف القـرآن قـد نالـت مآربها في تحـريفه، فقـد بقـي القـرآن محفوظاً مصاناً من أيّة محاولة تحريفيّة، لقوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾.

ويـتّفق المسـلمون جمـيعاً علـى قـرآن واحـد يتداولونه جميعاً، رغـم مـا ورد في التراث الإسلامي من اعتقاد البعض بمسألة الزيادة والنقصـان فـي القـرآن، ولم يتسنّ لهؤلاء القائلين بالزيادة والنقصان مـن اقحـام آرائهـم فـي القـرآن بـل بقيت دعاواهم في نطاق التمنّي الـذي لـم يسـتطع أحدهـم تنفـيذه علـى مستوى الواقع، وذلك كون قداسـة القـرآن تُهيمـن علـى المسـلمين فضـلاً عـن المعارضـة التـي يـتزعّمها علـيّ بـن أبي طالب عليه السلام والتي أقصت معها أيّة محاولة من شـأنها أن تخـلّ فـي صـيانة القـرآن، فقـد تـربّص علـيّ عليه السلام بحالات الخرق الذي تحاوله بعض الجهات للنيل من قداسة الشريعة وصيانة القرآن، وستأتي لاحقاً إشارة لهذه الجهود.

إلاّ أنّ الباحــث يــتطلّع للبحــث عــن أســباب ودواعــي هــذا الـتحريف التـي أفـرزتها المواقـف السياسـية والاجتماعـية والثقافـية

لهؤلاء القائلين بالتحريف وسنتابع بعض هذه الدواعي دون حصرها فيما نذكر.

أوّلاً: حالات الخلط بين آي القرآن وبين قول النبيّ ﷺ

يبدو أنّ مسألة التلقّي في الصدر الأوّل كانت أمراً مهماً جداً، فالمسلمون جميعاً يجتمعون حول النبيّ ﷺ ليستمعوا إلى ما يوحى إليه من القرآن وتختلف مراتب سرعة التلقّي وإحكام الحفظ وإتقانه تبعاً لمستويات المتلقّي وذكائه، وبطبيعة الحال فإنّ المسلمين تختلف مستويات ذكائهم وحفظهم، فلربّما حفظ أحدهم الآية أو السورة حال سماعه لهما، وربّما لا يحفظ ذلك أحدهم حتّى تتكرّر قراءته لها، بل يبالغ عمر بن الخطاب في إبطائه بحفظ سورة البقرة ليحفظها بعد إثنتي عشرة سنة، فقد أخرج السيوطي ما أخرجه الخطيب في رواة مالك والبيهقي في شعب الإيمان عن ابن عمر قال: تعلّم عمر البقرة في إثنتي عشرة سنة، فلما ختمها نحر جزوراً، وذكر مالك في الموطأ أنّه بلغه أنّ عبد الله بن عمر مكث على سورة البقرة ثماني سنين يتعلّمها. وفي رواية أربع سنين[1].

---

(١) الدر المنثور للسيوطي: ١ / ٥٤.

لـم تكن قابليات عمر بن الخطاب مشجّعةً! فقد أخفق في كثير مـن قضـايا الدولـة، ولعلّـنا نجـد فـي مواقف عدّة يستعين برعيّته في موقـف ينبغي للخليفة معالجته، ففي خبر كعب بن سور الأزدي: أنّ امـرأة شـكت زوجهـا إلـى عمـر فقالـت: زوجي يقوم الليل ويصوم الـنهار وأنـا أكـره أن أشكوه إليك، فهو يعمل بطاعة الله، فكان عمر لـم يفهـم عـنها وكعـب بن سور هذا جالس معه، فأخبره أنها تشكو أنّهـا لـيس لهـا من زوجها نصيب، فأمره عمر بن الخطاب أن يسمع مـنها ويقضي بينهما، فقضى للمرأة بيوم من أربعة أيام وليلة من أربع لـيال، فسـأله عمـر عـن ذلـك فـنزع بـأنّ الله عـزّ وجـلّ أحلّ له أربع ليال[1].

هـذه قابلـيات الخلـيفة فـي حفظه وإدراكه، وهو أمر طبيعي أن تتفاوت قدرات الرجال تبعاً لمستويات الذكاء وحدّة الذهن.

فالخلـيفة عمر ـ والحال هذه ـ سيقع فريسة الوهم والاشتباه بين آيات القرآن الكريم وبين أقوال النبيّ صلى الله عليه وآله، وسيستحوذ عليه الخيال طالمـا هـو فـي العقـد السادس من عمره، إذ تتدخّل ذاكرة الشخص في فهمه واستيعابه تبعاً لتقدّم العمر كذلك، فكلّما يتقدم الإنسان في العمر سيؤثّر ذلك على مستوى تلقّيه وتفاعله مع أيّة مادّة ملقاة، وهو

(١) الاستيعاب بهامش الإصابة في تمييز الصحابة: ٣ / ٣٠٣.

ما نراه لدى الأطفال من سرعة الحفظ ودقّة التلقّي، خلاف من تقدّم به العمر. فمثلاً يصرّ عمر بن الخطاب أنّ آية من كتاب الله أُسقطت وهي آية الرجم.

فقد روى مالك، عن يحيى بن سعيد أنّه سمع سعيد بن المسيب يقول: لمّا صَدَرَ عمر بن الخطاب من مِنى أناخ بالأبطح، ثم كوَّم كومة من بطحاء ثم طرح عليها ثوبه، ثم استلقى ومدَّ يده إلى السماء فقال: اللّهم، كبرت سنّي وضعفت قوّتي، وانتشرت رعيّتي، فاقبضني إليك غير مضيّع ولا مفرّط، ثم قدم المدينة فخطب الناس فقال: يا أيّها الناس! قد سُنّت لكم السنن، وفرضت لكم الفرائض، وتركتم على الواضحة، وصفّق بإحدى يديه على الأُخرى، ألا أن لا تضلّوا بالناس يميناً وشمالاً، ثم إيّاكم أن تهلكوا عن آية الرجم، أن يقول قائل: لا نجد حدَّين في كتاب الله، فقد رجم رسول الله ﷺ ورجمنا، وأنّي والذي نفسي بيده، لولا أن يقول الناس زاد عمر بن الخطاب في كتاب الله لكتبتها: «الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما ألبتة» فإنّا قد قرأناها، قال سعيد: فما انسلخ ذو الحجة حتّى قتل عمر[1].

فقوله كَبُرَ سنّي إشارة إلى ضعف قواه الجسدية ليستشري ذلك

---

(١) الموطأ لمالك بن أنس كتاب الحدود في الزنا: باب الرجم: حديث ٦٩٣.

إلى إدراكه وتأثيرها على حافظته، بل تخليطه بين آية من القرآن وبين قول النبيّ ﷺ فاشتبه عليه الأمر وظنّ أنّ ذلك من القرآن.

لم يكن عمر وحده قد ابتُلي بهذه الظاهرة، فإنّ بعضهم يختلط عليه الأمر بين القرآن وبين الحديث.

فهذه عائشة ضحية التخليط كذلك، فهي تسمع قول النبيّ ﷺ تفسيراً لآية ما، فيختلط عليها فتحسبه من ضمن الآية فتذيّل به ما سمعته من القرآن بقول النبيّ ﷺ.

فقد أخرج مالك، وأحمد، وعبد بن حميد، ومسلم، وأبو داود، والترمذي، والنسائي، وابن جرير، وابن أبي داود، وابن الأنباري في المصاحف، والبيهقي في سننه عن أبي يونس مولى عائشة قال: أمرتني عائشة أن أكتب لها مصحفاً وقالت: إذا بلغت هذه الآية فآذنّي ﴿حَافِظُواْ عَلَى الصَّلَوَاتِ والصَّلاَةِ الْوُسْطَى﴾ فلما بلغتها آذنتها، فأملت عليّ «حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى وصلاة العصر وقوموا لله قانتين» وقالت عائشة: سمعتها من رسول الله ﷺ.

وفي رواية: فقال لها عمر: ألك بيّنة؟ قالت: لا . قال: فوالله لاندخل في القرآن ما تشهد به امرأة بلا إقامة بيّنة[1].

وعلى ما يبدو، أنّ عمر لم يعتمد على حافظة عائشة، فطلب

(١) الدر المنثور: ١ / ٧٢٢.

منها بيّنة خوفاً من أنّ الأمر قد اختلط عليها.

وفي تعليقة على ذلك قال الباجي: يحتمل أنّها سمعتها على أنّها قرآن، ثم نسخت كما في حديث البراء الذي رواه مسلم، فلعلّ عائشة لم تعلم بنسخها أو اعتقدت أنّها ممّا نسخ حكمه وبقي رسمه، ويحتمل أنّه ذكرهاﷺ على أنّها من غير القرآن لتأكيد فضيلتها، فظنّتها قرآناً، فأرادت إثباتها في المصحف لذلك[1].

والجدير بالذكر أنّ عمراً رفع شعار «حسبنا كتاب الله» وشدّد على منع رواية الحديث النبويّ بحجّة أن لا يختلط القرآن بالحديث، وأنّ المسلمين قريبو عهد بالقرآن وبحديث رسول اللهﷺ فتداول الحديث لعلّه يسبب اختلاطه بآيات القرآن.

كان عمر يتوجّس من ذلك إلاّ أنّه رفع شعاره هذا، للسيطرة على الموقف السياسي، قاطعاً الطريق على وصيّة رسول الله في خلافة عليّ بن أبي طالب، وهو عمل سياسي دقيق حصل عمر على بغيته منه، إلاّ أنّ خوف اختلاط القرآن بالحديث كان أوّل ضحيّته عمر نفسه وعائشة وأمثالهما، فقد خلطوا في رواياتهم للقرآن ولم يفرّقوا بين القرآن و الحديث، فوقعوا في ورطة التحريف شاءوا، أم أبوا ذلك.

---

(١) عون المعبود: ٢ / ٥٨.

ثانيا: الجهد اليهودي وعلاقته بالتحريف

يبدو أنّ الحرب الباردة التي أعقبت القتال بين المسلمين واليهود وظّفت جهدها للنيل من قداسة القرآن الكريم.

فالتحريف عند اليهود حالة تقليدية يتّبعها هؤلاء متى ما اقتضى الأمر ذلك، وصراعهم مع التوراة يشهد له القرآن الكريم، وذلك لقوله تعالى: ﴿ مِّنَ الَّذِينَ هَادُواْ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ﴾[1].

وقوله تعالى: ﴿ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ وَنَسُواْ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِ ﴾[2].

وقوله تعالى ﴿ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عن مَوَاضِعِهِ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَـذَا فَخُذُوهُ ﴾[3].

وقوله تعالى ﴿ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلاَمَ اللّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِن بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ ﴾[4].

فعن السدي في قوله: ﴿ يَسْمَعُونَ كَلاَمَ اللّهِ ﴾ قال: هي التوراة

---

(١) النساء: ٤٦.

(٢) المائدة: ١٣.

(٣) المائدة: ٤١.

(٤) البقرة: ٧٥.

حرّفوها[1].

إذن فاليهود ذوو خبرة في مناوراتهم الفكرية من أجل تأسيس ثقافة خاصّة، تساهم في خلق قاعدة عريضة تعارض جهود الإصلاح وتحاول عرقلة رسالات السماء ... هكذا هو تاريخهم، فقد عرفوا بالمعارضة العنيفة حيال ما يطرحه الأنبياء من جهود، ولعلّ ذلك يتجسّد في توراتهم، فقد أظهرت محاولات التحريف في التوراة حالات خرقٍ واضحة تنسجم وتوجّهاتهم.

هذه الحالة تنعكس في تعاملهم مع القرآن الكريم، فقد أتقنوا اللعبة، وحاولوا أن يستخدموا مع القرآن ما استخدموه مع التوراة من محاولات التحريف.

لم تكن لمحاولاتهم هذه أن تنجح ما لم يكن هناك خرق لبعض المسلمين، إذ بإمكان هؤلاء اليهود أن ينفّذوا مخطّطاتهم عن طريق مَنْ يجدون لديه إمكانية الرغبة في التعامل معهم على أساس الثقة المتبادلة بين الفريقين، ولم يكن هناك ما يعرقل اتصال هؤلاء اليهود بالمسلمين، فالحدود مفتوحة بينهم وبين المسلمين، ووسائط النفوذ والاختراق تتهيّأ يوماً بعد آخر متى ما وجد اليهود خطورة الدين الجديد آخذةً بالتزايد ، لذا فلابدّ من بناء جسور العلاقة

---

(١) الدر المنثور: ١٩٨/١. والآية: ٧٥ من سورة البقرة.

الممتدّة بين الفريقين، بين اليهود من جهة وبين المسلمين الذين لايجدون حرجاً من اتصالهم باليهود وبإمكانية إقامة علاقات الصداقة المتبادلة، فكثير من المسلمين كانت لهم قبل إسلامهم علاقات ودّيّة بهؤلاء اليهود، وهم غير مستعدّين لتقويض مثل هذه العلاقات، فالتجارة في مكة ومثلها في المدينة ترتكز على هؤلاء النفرمن اليهود، فقد أمسكوا بأطراف العلاقات التجارية وتمكّنوا من توثيق عُرى العلاقات هذه بينهم وبين المسلمين، أو بينهم وبين الأقلّيّات المسيحية المتاخمة لحدود الجزيرة، وتتصاعد وتائر الحاجة لهذه العلاقات كلّما تصاعدت وتائر التهديد لكيانهم من قبل الدين الجديد.

لذا فقد شعروا بخطورة موقفهم وحراجة وجودهم إذا ما أبقوا على ما هم عليه من الانتظار دونما النفوذ إلى الوسط الإسلامي عن طريق علاقاتهم التقليدية التي كانت قد أُقيمت قبل الاسلام مع بعض المسلمين، وقد امتازت علاقات الصداقة بينهم وبين عمر بن الخطاب وبعض المسلمين بالنموّ المضطرد كلّما وجدوا ضرورة النفوذ في الوسط الإسلامي، فلا تزال أواصر الصداقة تتوطّد بين عمر بن الخطاب وبين هؤلاء اليهود الذين حرصوا على تمتينها بين الحين والآخر.

نجد أن عمر بن الخطاب ـ بالرغم من دخوله الدين الجديد ـ حريص على تفقّد أصدقائه اليهود وتجديد عهد قديم من العلاقات القديمة الحميمة بينهم، وبالمقابل فقد حرص هؤلاء اليهود على ترسيخ هذه العلاقات بما كانوا يبهرون عمر وغيره بكتبهم القديمة التي تحمل ـ كما يزعمون ـ آفاق المستقبل بأخبار وقائع قادمة أو ما ترويه توراتهم من مغيّبات، والعرب وقتذاك يتطلّعون ببداوتهم وسذاجة طبعهم إلى ذوي الأديان الأُخرى والعقائد المتناثرة بينهم، فقد حرصوا أن يسمعوا عن غيرهم الوقائع القادمة وأخبار المستقبل، لذا فقد حرص عمر بن الخطاب على مراودتهم بين الفينة والأخرى، وحرصوا هم على أن يقدّموا ما بجعبتهم من أخبار الفتن، وهكذا فقد ظنّ عمر بإخوانه اليهود خيراً ـ هكذا كان يعبّر عنهم ـ فقد جاءت بعض الروايات مشيرة إلى تلك العلاقات الفكرية بين الطرفين.

فعن عبدالله بن ثابت الأنصاري ـ خادم رسول الله ﷺ ـ قال: جاء عمر بن الخطاب إلى النبيّ ﷺ ومعه جوامع التوراة، فقال: مررت على أخٍ لي من قريظة فكتب لي جوامع من التوراة، أفلا أعرضها عليك؟

فتغيّر وجه رسول الله، فقال [الأنصاري]: أما ترى ما بوجه

رسول الله ﷺ؟! فقال عمر: رضيت بالله ربّاً وبالإسلام ديناً وبمحمّد رسولاً، فذهب ما كان بوجه رسول الله ﷺ.

فقال ﷺ: «والذي نفسي بيده، لو أنّ موسى أصبح فيكم ثم اتبّعتموه وتركتموني لضللتم، أنتم حظّي من الأمم، وأنا حظّكم من النبيّين»[1].

وعن الشعبي، عن جابر، أن عمر بن الخطاب أتى النبيّ ﷺ بكتاب أصابه من بعض الكتب، فقال: يا رسول الله، إنّي أصبت كتاباً حسناً من بعض أهل الكتاب، قال: فغضب ﷺ وقال: أمتهوّكون فيها يا ابن الخطاب؟ والذي نفسي بيده، لقد جئتكم بها بيضاء نقيّة لا تسألوهم عن شيء فيحدّثونكم بحق فتكذّبوا به، أو بباطل فتصدّقوا به، والذي نفسي بيده، لو أنّ موسى كان حيّاً ما وسعه إلاّ أن يتبعني»[2].

إذن فحسن ظنّ عمر بن الخطاب شجّعه على الأخذ من ثقافة أُولئك اليهود المتربّصين، وحاول أن يحتفظ ببعض علاقاته بهم وحرص على السماع منهم والاستماع إليهم.

من هنا جاءت شبهة عمر بن الخطاب في محاولة إقحام آية

---

(١) مسند أحمد: ٣ / ٤٧٠.

(٢) جامع بيان العلم: ٣٣٩.

الرجم في القرآن الكريم، فقد كان يحرص كثيراً على إدخالها.

فقد أخرج النيسابوري عن عمر أنه قال: كنّا نقرأ آية الرجم: الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما ألبتة نكالاً من الله والله عزيز حكيم[1].

وقد تعدّدت روايات آية الرجم إلى حدّ العشرات، ولم يجد اليهود بدّاً من الاعتراف أن آية الرجم وردت في التوراة، كما أخرج الطبري في رواية مطوّلة تتحدّث عن حدّ الزاني في شريعة اليهود المحرّفة إلى أن تقول: وكان النبيّ ﷺ قال لهم: «من أعلمكم بالتوراة؟» فقالوا فلان الأعور. فأرسل إليه فأتاه، فقال: «أنت أعلمهم بالتوراة؟» قال: كذلك تزعم اليهود.

فقال النبيّ ﷺ : «أنشدك بالله، وبالتوراة التي أنزلها على موسى يوم طور سيناء ما تجد في التوراة في الزانين؟» فقال: يا أبا القاسم! يرجمون الدنيئة ويحملون الشريف على بعير، ويحممون وجهه، ويجعلون وجهه من قبل ذنب البعير، ويرجمون الدنيء إذا زنى بالشريفة، ويفعلون بها هي ذلك.

فقال له النبيّ ﷺ : «أنشدك بالله وبالتوراة التي أنزلها على

---

(١) النيسابوري: تفسير القرآن الكريم بهامش تفسير الطبري: ١/ ٣٦١، ٣٦٢، عنه حياة الخليفة عمر بن الخطاب، لعبد الرحمن البكري: ٤١٦.

موسى يوم طور سيناء ما تجد في التوراة؟» فجعل يروغ والنبيﷺ ينشده بالله، وبالتوراة التي أنزلها على موسى يوم طور سيناء حتّى قال: يا أبا القاسم « الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما ألبتة». فقال رسول اللهﷺ: فهو ذاك[1].

إذن فقد تأثّر عمر بالتوراة ونسب ما فيها إلى القرآن، وهكذا تزحف التوراة على آيات القرآن عن طريق العلاقات المتبادلة بين بعض المسلمين وبين اليهود الذين استطاعوا أن يجدوا منفذاً أميناً يقحمون من خلاله أفكارهم، وليس في وسع عمر أن ينفّذ رغبة اليهود إلا في حدود الأُمنية التي كان يتمنّاها من إدخال ثقافة التوراة ضمن القرآن الكريم، أي تبقى محاولات التحريف إشارات مهمّة لتاريخية العلاقة بين اليهود وبين مركز القرار الإسلامي الذي يتزعّمه الخليفة الأوّل.

على أنّ البعض يشير إلى ظاهرة التحريف في التوراة ويؤكّد على وجود بعض المسلمين الذين يتواطئون معهم في الدفاع عنهم بأنّهم لم يحرّفوا ولم يبدّلوا، وهي إشارة إلى جهد مشترك بين اليهود وبين بعض المسلمين الذين يحاولون تمرير محاولاتهم

---

(١) تفسير الطبري: ٦ / ١٥٧، عن إعلام الخلف بمن قال بتحريف القرآن من السلف: ٢ / ٣٦٧.

التحريفيّة، قال صاحب هداية الحيارى ـ بعد أن كتم أسماء أُولئك المتعاونين الذين سهّلوا مهمّة هؤلاء اليهود ـ بوقوع التحريف في التوراة وفريتهم على الأنبياء سبعون كاهناً أجمعوا على تبديل ثلاثة عشر حرفاً من التوراة في فصل، وهذه الطرق يسلكها من يساعدهم على أنّهم لم يحرّفوا ألفاظ التوراة والإنجيل، ولم يبدّلوا شيئاً منها، فيسلكها نظّار المسلمين معهم من غير تعرّض إلى التبديل والتحريف..[1].

إذن فمحاولات اليهود تختفي خلف سطوة البعض وهيمنة أصحاب القرار.

ثالثا: تفشي الامية إبّان الصدر الأول

لم يُعد المجتمع العربي إبّان الصدر الأوّل للإسلام مجتمعاً متحضّراً، فقد كانت البداوة تضرب بأطنابها فيه، والقبائلية شغله الشاغل وقتذاك، أي لم يُتح للمجتمع العربي أن يتعلّم إلاّ في نطاق أعداد محدودة منهم حيث كانت توكل لهم مهمّة كتابة الوحي، وكان أبرزهم عليّ بن أبي طالب؈، والأرقم بن أبي الأرقم، وعبدالله بن مسعود.

---

(١) هداية الحيارى: ١/ ١٠٦.

ولكن تضاعف هذا العدد في العهد المدني إلى نسبة معينة، رغم تشجيع النبيّ ﷺ المسلمين على التعليم، ولعلّ بوادر نشوء المؤسّسات التعليميّة بدأت في المجتمع المدني بعد هجرته المباركة، قال معاذ: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ما من رجل علّم ولده القرآن، إلاّ توّج الله به يوم القيامة تاج الملك وكُسي حلّتين لم ير الناس مثلهما[1].

وظهر اهتمام الرسول ﷺ بالتعليم في عهد مبكّر فأرسل مصعب بن عمير مع من بايعه بالعقبة الأُولى وأمره أن يقرئهم القرآن، ويعلّمهم الإسلام ... فكان يسمّى «المقرئ» بالمدينة[2].

وهذا مؤشّر واضح على ترقّي المسلمين في العهد النبويّ الشريف إلى مستوى التعليم، ومحاولة من النبيّ ﷺ في محاربة الأمّيّة وخلق مجتمع متعلّم.

على أنّنا لا ننكر ما كان يتمتّع به المجتمع العربي من صفات العبقرية أو محاولات الإبداع بالرغم من ابتعاده عن المؤسسات التعليمية وسبل الحضارة، فكان إزدهار الأدب، وتوهّج الشعر، وذيوع البلاغة له أثره في ترقّي المجتمع وتقدّمه.

---

(١) تأريخ التربية عند الإمامية وأسلافهم من الشيعة، الدكتور عبدالله فياض: ٦٠.

(٢) المصدر السابق.

والمسلمون كانوا شرائح لهذا المجتمع المتحضّر، أو لذلك المجتمع المتخلّف، فقريش تُعرف بمواهبها التي تقدّمها على باقي القبائل، والهاشميون يحتلّون موقع الصدارة من المجتمع القرشي لما عُرفوا به من الفطنة والذكاء، فاحتلّت مواقع السيادة والشرف، فجمعت بين النسب والحسب فتقدّمت على غيرها من القبائل.

وكانت لبعض هذه القبائل مهمّة العمل والخدمة التي عرفت بها وامتازت بها من بين غيرها، وكانت لقريش رفادة الحاج، فهي بين من يقوم بضيافته وبين من يقوم بخدمته، حتّى إذا انتهى موسم الحج وأقفل الحجيج من مكة، عادت حياة المكّيين إلى سابق عهدها من العمل والتجارة والزراعة خصوصاً لدى بعض المنابع المائية التي تفيضها عليهم الطبيعة بكرم عيونها المائية المعهودة.

وكانت لقريش رحلة الشتاء والصيف ولهاشم صدارة التجارة وعرف الزهريون وأمثالهم كذلك من كنانة وخزاعة وأسد وهذيل وغطفان وسليم وهوازن وأمثالهم من الأوس والخزرج المدنيين فضلاً عن غسّان وهمدان والأزد ما أهّلهم للاختلاط بغيرهم، فأضافوا لمواهبهم موهبة الكتابة، و بقيت غيرها من القبائل لم ينلها حظ التعليم، فانشغلت بالخدمة أو العمل أو التجارة الداخلية في

نطاق الأسواق المكّية، وكان عمر بن الخطاب من بين اُولئك الذين حُرموا من الاختلاط بغيرهم من الأقوام، فقد كان عاكفاً على عمله مشغولاً في بيعه وشرائه أو في رعيه إبله، فقد كانت هذه حرفة المكيّين وغيرهم، لم يتسنّ لعمر وغيره أن يحصلوا على حظّ من ثقافة التعليم حتّى حرمتهم ظروفهم، فقد كان عمر يتعاطى الدلالة ويسعى بين المتبايعين، قال الفيروزآبادي: المبرطِش: الدلال أو الساعي بين البائع والمشتري، وكان عمر رضي الله تعالى عنه في الجاهلية مبرطِشاً[(١)]. وكان حريصاً على حضوره السوق مرتزقاً ممّا تجنيه خبرته وفطنته في التعامل حتّى ألهاه ذلك عن الأخذ عن رسول الله ﷺ.

فقد روى مسلم في صحيحه عن عبيد بن عمير: أنّ أبا موسى استأذن على عمر ثلاثاً فوجده مشغولاً فرجع، فقال عمر: ألم تسمع صوت عبدالله بن قيس إئذنوا له، فدعي له فقال: ما حملك على ما صنعت. قال: إنّا كنّا نؤمر بهذا. قال: لتقيمنّ على هذا بيّنة أو لأفعلن، فخرج فانطلق إلى مجلس من الأنصار، فقالوا: لا يشهد لك على هذا إلاّ أصغرنا، فقام أبو سعيد فقال: كنّا نؤمر بهذا. فقال عمر: خفي عليّ هذا من أمر رسول الله ﷺ ألهاني عنه الصفق

(١) القاموس المحيط: ٢ / ٢٨٣ دار إحياء التراث العربي.

بالأسواق[1]. حتّى أنّه لم يتوفّر له من الوقت ما يتزوّد به من الحديث، وغيره من المسلمين كانوا كذلك مع حرصهم على التعلّم والاستفادة.

ومن الطبيعي أنّ هذه المستويات المتواضعة لا تقوى على حفظ النصوص أو أنها إذا حفظت شيئاً اختلط عليها ما حفظته من قبل، فتدخل النصوص التي حفظتها بعضها ببعض ما يسبّب ارتباكاً في الحفظ، وتمتدّ هذه المشكلة إلى نصوص القرآن، فيخلطون بعضاً ببعض ويظنّون ـ لقلّة خبرتهم ـ أنّ ما كان من الحديث من القرآن، أو ما كان قرآناً نزل به الوحي هو حديث تفوّه به رسول الله ﷺ في بعض مناسباته، فتتفاقم شبهة التحريف لديهم والخطأ في محفوظاتهم.

رابعا: اختلاط الثقافات الاخرى بثقافة العرب إبان الصدر الأول للإسلام وأثر الفتوحات السلبية في ذلك.

تُعدّ الفتوحات الإسلامية في عهد الخلفاء الثلاثة معْلَماً مهماً من معالم هذه الفترة التي تميّزت بالفتوحات من أجل توسعة رقعة المملكة الإسلامية وتمتين النموّ الاقتصادي الذي بات إحدى أهم

(١) صحيح مسلم كتاب الآداب باب الاستئذان: ٣ / ١٦٩٦، دار الفكر.

موارد الدولة الإسلامية.

فالخطة الاقتصادية إبّان عهد الخلفاء لم تعتمد على التجارة والزراعة بعد أن عانت تراجعاً ملحوظاً شهدته هذه الحقبة، وذلك للتغيّرات السياسية التي حدثت وقتذاك، فكثير ممّن كان يعتمد على الزراعة في مدخوله الاقتصادي بات يطمح إلى تغيير هذا التوجّه من نمط حياته.

فقد فتحت الفتوحات باباً واسعاً من التطوّر الاقتصادي الذي يتوخّاه الفرد الملمّ بمردوداته المالية، فطموحاته في الفتوح بتشجيع من الدولة أوهن الحياة الاقتصادية التي تعتمد على الزراعة والتجارة لانشغال الكثير منهم بالالتحاق في الجيوش الفاتحة، فهو سيحصل على غنائم حرب لم يحصل عليها من زراعته أو تجارته، فضلاً عمّا ستوفره هذه الحرب من السبي الذي سيختص به لنفسه.

إذن فالفتوحات الإسلامية فضلاً عن كونها هدفاً لخطة دولة سياسياً واقتصادياً، فإنّها طموحات شخصية استأثر بها بعض المسلمين، فضلاً عمّا تلقيه عملية الفتوحات من عبىء على كاهل الحياة الإسلامية الفتيّة.

فالمسلمون ـ وهم في عهد ديني جديد ـ بحاجة إلى رعاية تربويّة جدّيّة تؤهّلهم لتلقّي ثقافات هذا الدين وما تنطوي عليه من

حياة تفتح لهم آفاق التعامل الجديد وتطلّعات الحضارة التي حملها دينهم إليهم.

إلاّ أنّ ذلك لم يحدث؛ فخيبة الأمل التي تحملها أخبار هذه الفتوحات توجب مراجعة جدّيّة لدوافع هذه الفتوحات وما تركته من بصمة العنف التي ارتكبتها الجيوش الفاتحة، فهم بدل من أن يحملوا تسامح الدين الذي يبلّغون عنه، فإنّ حالة العنف والقسوة والإرهاب صاحبت هذه الجيوش، بل مشكلة الاستئثار التي اختص بها أُمراؤهم أبعدت النظرة الطيبة التي كان يتطلّع إليها رعايا البلدان المفتوحة، بل بالعكس فقد أجّجت أكثر الفتوحات روح العداء والكراهية للدين الجديد وأتباعه، فقد أظهر أُمراء الفتح شرههم للمال، وبلغت الضرائب التي جباها مثلاً عبدالله بن أبي سرح من مصر إثني عشر ألف ألف دينار، فقال عثمان لعمرو: درّت اللقاح، قال: ذاك إن يتمّ يضرّ بالفصلان[1]، أي كأنّه حذّره من مغبّة سياسة الضرائب التي يجبيها المسلمون من البلدان المفتوحة.

بل بلغت غنائم أفريقية «ألفي ألف دينار وخمسمائة ألف دينار وعشرين ألف دينار.

وروى بعضهم أن عثمان زوّج ابنته من مروان بن الحكم وأمر

(١) تاريخ اليعقوبي: ٢/ ١٦٤.

له بخمس هذا المال»[1].

فالحروب والفتوحات أنهكت العقلية الإسلامية وأحالتها من عقلية فاتحة تبشّر بالدين الجديد، إلى عقلية غازية تنذر بالدمار والتخريب.

ولا نحتاج إلى شواهد إذا ما استعرضنا قادة الفتوح وقتذاك، فعبد الله بن أبي سرح الذي هدر دمه رسول اللهﷺ حتّى لو كان متعلقاً بأستار الكعبة، ومروان بن الحكم ابن طريد رسول اللهﷺ لم يستطع أن يبعد لعنة رسول اللهﷺ عن أذهان المسلمين، وخروقاته أيام عثمان شاهدة على ذلك حتّى كان سبباً في تأليب المسلمين على عثمان، ولم تجد لمعاوية بن أبي سفيان سابقة الإسلام حتّى عرفه المسلمون بالطليق، إذن فالخروقات التي أحدثتها هذه الفتوحات أمر غير مستبعد، بل هي نتيجة طبيعية لقيادات الفتح وقتذاك.

لم تكن تلك الآثار السلبية هي حصيلة فتوحات غير رشيدة، وحركات غير ناضجة فحسب، بل جعلت البلدان الإسلامية متلقّياً سيّئاً لثقافات تلك البلدان المفتوحة.

فالمسلمون لم يكونوا بعد محصّنين بثقافة إسلامية تمكّنهم من

(١) تاريخ اليعقوبي: ٢ / ١٦٦.

درء مخاطر الغزو الفكري والاختلاط الثقافي، واللغة الأُم ضحية هذا الاختلاط، فضلاً عن ثقافة وفكر المجتمع المتلقّي، والجزيرة العربية تتطلّع إلى حضارات الآخرين وتفاعلها مع الشعوب المفتوحة تفتح لهم آفاق كل جديد ـ بغضّ النظر عن كون هذا الجديد القادم إيجابياً أم سلبياً ـ ومن الطبيعي أنّ شعوب الدول الفاتحة تختلط ثقافاتها بثقافة شعوب الدول المفتوحة، لذا ترى أنّ هذا التمازج الثقافي ترك آثاره على طبيعة اللغة وألفاظها، فضلاً عن أُولئك الموالي الذين عاشوا وسط المجتمع الإسلامي وتثقّفوا فيه وتثقّفوا منه.

فقد «كان العرب محصورين في جزيرتهم القاحلة، وهم أهل بادية وخشونة وشظف من العيش يسمعون بالرومي أو الفارسي، فيعظمون قدره ويتمثّلون بسطوة قيصر وكسرى، ولم يتجاوزوا جزيرة العرب إلاّ قليلاً. فلمّا ظهر الإسلام واجتمعت كلمة العرب، نهضوا للفتح وأوغلوا في البلاد، وفتحوا الأمصار، ولم يستطع شيء أن يوقف تيّارهم، فانساحوا في الأرض حتّى نصبوا أعلامهم على ضفاف الكنج شرقاً، وشواطئ المحيط الأطلسي غرباً، وضفاف نهر لورا شمالاً، وأواسط أفريقيا جنوباً. وملأوا الأرض فتحاً ونصراً، واحتلّوا مدائن كسرى وقيصر، وأقاموا في المدن، وركنوا إلى

الحضـارة، وتعـوّدوا الـترف، واختلطـت أنسـابهم بتوالـي الأجـيال والقـبائل التـي قامت بنصرة الإسلام ونشره قبائل مضر وأنصارها من العدنانية والقحطانية.

ولـم ينتشـر العـرب بالفـتح فقـط، ولكنهم هاجروا أيضاً بأهلهم وخـيامهم وأنعـامهم التماسـاً لسـعة العـيش فـي الـبلاد العامـرة مـن مملكتهم الجديدة.

ولا يخفـى مـا يترتّب على مثل هذا الاختلاط من الانقلاب في اللغـة والآداب، لكـنه لـم ينضـج ويظهـر إلاّ فـي عصر الأمويين فما بعده»[1].

هـذه الظاهـرة ألقـت بظلالهـا على الوسط الثقافي وكان لحفظ القـرآن شـأنه مـن هـذا الاخـتلاط، فعبثـت بـه بعـض هـذه الثقافات الهجيـنة بعيداً عن البلاغة التي عهدناها لدى عرب الجزيرة، وكانت ظاهـرة الـتحريف إحـدى نتائج هذه الاختلاط، فركاكة التأليف في الآيـات التـي زعمـوا أنهـا سقطت من القرآن، تشير إلى مشكلة هذا الاختلاط حتّى أنّك تتلمّس في هذه الآيات المفتريات ثقافة أُخرى لم تعهدها بلاغة العرب، فمن آيات التحريف مثلاً:

١- أخـرج الـبخاري وغـيره عـن عمر بن الخطاب إنّه قال وهو

(١) تاريخ آداب اللغة العربية، جرجي زيدان: ١ / ١٨٦.

على المنبر: إنّ الله بعث محمّداً بالحقّ نبيّاً وأنزل عليه الكتاب، فكان ممّا أنزل آية الرجم فقرأناها وعقلناها ووعيناها. رجم رسول الله ﷺ ورجمنا بعده، فأخشى إن طال بالناس زمان أن يقول قائل: ما نجد آية الرجم في كتاب الله فيضلّ بترك فريضة أنزلها الله والرجم في كتاب الله حقّ على من زنى إذا أحصن من الرجال والنساء، ثمّ كنا نقرأ فيما يقرأ في كتاب الله، ألا ترغبوا عن آبائكم فإنّه كفر بكم أن ترغبوا عن آبائكم[1].

فما معنى ألا ترغبوا عن آبائكم. ومعنى فإنّه كفر بكم؟

٢- «واصطفى الملائكة وجعل من المؤمنين أولئك في خلقه»، فماذا اصطفى من الملائكة، وماذا جعل من المؤمنين؟

٣- «لقد أرسلنا موسى وهارون بما استخلف فبغوا هارون فصبر جميل» فما معنى هذا؟

٤- « ولقد آتينا بك الحكم كالذي من قبلك من المرسلين وجعلنا لك منهم وصيّاً لعلّهم يرجعون»[2].

---

(١) أضواء على السنّة المحمّدية: ٢٥٦.

(٢) الكلام وما قبله عن مقدمة مجمع البيان، والمقدمة للحجة الشيخ محمّد جواد البلاغي وهي مأخوذة عن كتاب دبستان المذاهب الذي نسب إلى الشيعة هذا التحريف .

وما إلى ذلك من منكرات القول وركاكة الألفاظ وتفاهة المعنى.

خامسا: الوضّاعون

لم يسلم القرآن الكريم من محاولات التحريف الخاسرة، كما لم يسلم الحديث النبويّ من ذلك.

فالحديث النبويّ تعرّض إلى عدّة موجات من التلاعب والتحريف أو الإخفاء، وكانت لذلك دوافع عدّة، منها محاولات الحصول على مآرب سياسية واجتماعية، فضلاً عمّا يحصل عليه الوضّاعون من مشجّعات ماديّة تضمن لهم حياة خاصة يطمحون إليها.

ولم تكن آيات القرآن الكريم بمنأى عن ذلك، فإن كان الوضّاعون قد نجحوا في وضع الحديث، فمحاولتهم وضع الآيات ستكون محاولة عسيرة وفاشلة، فالقرآن في بلاغته التي تُعدّ إحدى معجزاته عجز عن الإتيان بها بلغاء العرب وفصحاؤهم، وكم جهِدَ المناوئون إبّان دعوة النبيّ ﷺ أن يأتوا بآية فلم يستطيعوا، فبان عجزهم وظهر فشلهم، والقرآن الكريم يتحدّى هذه الظاهرة، فخاطب أُولئك الذين حاولوا تكذيبه ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُواْ

بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ ﴾[1]، فلم يستطيعوا ذلك، بل تحدّاهم أكثر وقال: ﴿ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ ﴾[2]، وهكذا يستمر تحدّي القرآن لأولئك الذين حاولوا مجاراته في وضع آية أو سورة مثله. إلاّ أنّ ذلك لم يمنع الوضّاعين من محاولة الافتراء على غيرهم ونسبة الوضع لهم، ففي إطار الحرب الكلامية التي تستخدمها بعض الفرق ضد الأُخرى ظهرت مجموعة اتهامات تنسب التحريف للفرقة المخالفة، ومن المؤسف أن يتشبّث البعض باتّهام غيره بمشكلة التحريف، وستكون الشيعة أهم الفرق التي تعرّضت لهذه التهمة ذلك لمناسبة ما تعتقده الامامية من أفضلية عليّ بن أبي طالب عليه السلام على جميع الصحابة بعد النبيّ صلى الله عليه وآله وقد نحى هذا الصراع منحاه السياسي الذي كانت للقوة أثرها في تصفية الخصوم، وكان للشيعة تاريخ طويل من تلك التصفيات، وإذا كانت حملات التنكيل تَطال خصوم السلطة من الشيعة لفترات معينة، فإنّ الحرب الثقافية والفكرية ستأخذ امتداداتها التاريخية، أي ستبقى التهم الموجّهة ضد المعارضة الشيعية للنظام السياسي فاعلة تؤثّر أثرها، فاتّهام الشيعة بالتحريف ودعوى أنّ آيات تنصّ على إمامة عليّ عليه السلام

---

(١) هود: ١٣.

(٢) يونس: ٣٨.

قد اسقطت من القرآن الكريم أخذت مأخذها في الأوساط العامة، واعتقد البعض صحة ما نُسب إلى الشيعة، ولعلّ نموذجاً من الوضع أمامنا يدين هذه المحاولات الاستفزازية التي حاول خصوم الشيعة النيل بها منهم، فقد ورد أن الشيعة تدّعي نقص آية من القرآن أُسقطت تتحدّث عن فضل عليّ عليه السلام هذا نصّها «في الليل ساجد يحذر الآخرة ويرجو ثواب ربّه قل هل يستوي الذين ظلموا وهم بعذابي يعلمون»[1] وركاكة هذا الكلام وأمثاله تكشف عن كذب الدعوى.

لم تألُ الشيعة جهداً في ردّ هذه الدعاوى، والحدّ من محاولات الوضع والتحريف، فقد صرّح الصدوق ببراءتهم من ذلك بقوله: «اعتقادنا أنّ القرآن الذي أنزله الله تعالى على نبيّه محمّد صلى الله عليه وآله هو ما بين الدفتين، وهو ما في أيدي الناس ليس بأكثر من ذلك .. » ثم قال: «ومن نسب إلينا إنّا نقول أنّه أكثر من ذلك، فهو كاذب»[2].

وفي اعتقادنا أنّ كلام الصدوق يعزّز موقف الشيعة من عدم تحريف القرآن وأنّهم يُبرّئون أنفسهم ويدفعون تهمة التحريف

---

(١) انظر مقدمة مجمع البيان، للشيخ محمّد جواد البلاغي.

(٢) الاعتقادات للصدوق: ٥٩.

باعتراف أهم علمائهم، وهذا كافٍ في براءتهم، فضلاً عن عدم توفّر أي دليل يؤيّد دعوى مناوئيهم عدا ما يدّعيه خصومهم من دعوى التحريف.

سادساً: مشكلة تعدّد القراءات

لم تعد تعدّد القراءات بالقضية اليسيرة، فهي مشكلة شائكة معقدة، وتعقيدها ينجم عن الإصرار على تصحيحها رغم خطئها، إذ تُعدّ مشكلة هذا التعدّد من أوضح نماذج التحريف الذي تورّطت به المذاهب الإسلامية وعدّته إحدى «حقوق» القرّاء الذين «خوّلتهم» فطنتهم وحذاقتهم بالاجتهاد في قراءات عدّة، حتّى عدّوا منها أربع عشرة قراءة، أمّا المشهور منها فسبعة.

تكشف تعدّد القراءات عن مدى تنامي الصراع بين أُولئك الذين سمحوا لأنفسهم أن يقرأوا القرآن حسب اجتهادهم مخالفين في ذلك الأصل المنزل على النبيّ ﷺ، وتُعدّ هذه القراءات محاولات تأسيسية لكيانات علمية سعى أصحابها للوصول إلى غاياتهم عن طريق مخالفة أصل القرآن بحجّة الاختصاص بقراءة خاصة.

كان للتنافس الإقليمي بين البلدان الإسلامية أثره في إضفاء

الشـرعية علـى تعـدّد القـراءات، فللقـرآن قداسـته وعظمـته بيـن المسـلمين، ولغرض أن يتصدر بلد ما أولوية الاهتمام بالقرآن ابتدع لنفسه أُسلوباً خاصاً للقراءة، فالعصبية التي تحملها البلدان الإسلامية مـن أجـل منافسـة غيرها دفعتها إلـى الاختصـاص بلـون معيـن مـن القـراءة القرآنـية، ولعـل ذلـك منشـؤه تعـاظم خطـورة الـتحزّبات السياسـية التـي كـان كـل بلـد ينـتهجها ويـرى أحقّيـته مـن غـيره، فـالملاحظ أن نشـوء القـرّاء السـبعة كـان فـي العهديـن الأُمـوي والعباسي، ويبدو أنّ العهد الأُموي أكثر العهود حزبيّة، إذ فتح الباب علـى مصراعيه للصراع الحزبي والسياسي فنشوء الخوارج والمرجئة والأشـعرية والمعـتزلة وغـيرهم كان إبّان العهدين الأُموي والعباسي وكـان كل واحد من هؤلاء القرّاء ينتمي إلى إحدى هذه الكيانات الحزبـية والفكـرية وإن لـم يصـرّح في هذا الشأن، إلاّ أنّ انتماءاتهم الإقليمـية كانت تقتضي انتماءهم الفكري، فاحتفاء الشام بعبدالله بن عامر اليحصبي وقراءته ينمي عن تبنّيه لتوجّهات أهل الشام.

وكـذا الحـال فـي نـزوع أهـل مكـة لمقـرئهم عـبدالله بن كثير الداري، وهكذا لأهل المدينة والكوفة والبصرة.

إذن فالـتزام كـل بلـد بقـراءةٍ معيـنةٍ يكشـف عـن تبنّـي مقـرئها لتوجهات ذلك البلد، فهم يتفاخرون بقراءة مقرئهم.

ويمكننا أن نستعرض هؤلاء القرّاء ونماذج من قراءاتهم كما ورد، لنرى اختصاص كل بلد بمقرئه:

١ - عبدالله بن عامر اليحصبي قارئ الشام المتوفي ١١٨هـ.

٢- عاصم بن أبي النجود الأسدي قارئ الكوفة المتوفي ١٢٨هـ.

٣- أبو عمرو بن العلاء المازني قارئ البصرة المتوفي ١٥٤هـ.

٤- عبدالله بن كثير الداري قارئ مكة المتوفي ١٢٠هـ.

٥- حمزة بن حبيب الزيّات قارئ الكوفة أيضاً المتوفي ١٥٦هـ.

٦- نافع بن عبدالرحمن الليثي قارئ المدينة المتوفي ١٦٩هـ.

٧- علي بن حمزة الكسائي قارئ الكوفة كذلك المتوفي ١٨٩هـ.

أمّا التحريفات التي خلّفتها هذه القراءات فمنها:

في قوله تعالى: ﴿ وَهَلْ نُجَازِي إِلاَّ الْكَفُورَ ﴾ حرّفت إلى: «وهل يجازى».

في قوله تعالى: ﴿ وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ ﴾ حُرّفت إلى «بعد أُمه».

وقوله تعالى: ﴿وَانظُرْ إِلَى العِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ﴾ حرّفت إلى «ننشرها».

وقوله تعالى: ﴿ حَتَّى إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ ﴾ حرّفت إلى «فرغ».

وقوله تعالى: ﴿ يَقُصُّ الْحَقَّ ﴾ حرّفت إلى «يقضي».

وقوله تعالى: ﴿ إِن كَانَتْ إِلاَّ صَيْحَةً وَاحِدَةً ﴾ حرّفت إلى «زقية

واحدة».

وقوله تعالى: ﴿ كَالْعِهْنِ الْمَنفُوشِ ﴾ حرّفت إلى «كالصوف المنفوش».

وقوله تعالى: ﴿ وَجَاءتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ﴾ حرّفت إلى «وجاءت سكرة الحق بالموت».

وقوله تعالى: ﴿ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ ﴾ حرّفت إلى «وما عملت».

وقوله تعالى: ﴿ إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً ﴾ حرّفت باضافة: «أُنثى».

وقوله تعالى: ﴿ إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا ﴾. وزيدت إليها: «من نفسي فكيف أظهركم عليها».

وقوله تعالى: ﴿ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأنهَارُ ﴾ حرّفت «من تحتها الأنهار»[1].

هذه هي مشكلة القراءات التي جعلها بعضهم متواترة في حين ينفي الشيعة تواترها ويعدّونها أخبار آحاد لم تثبت قرآنيتها، فقد قال السيد الخوئيرحمه الله: «والمعروف عند الشيعة أنها غير متواترة، بل القراءات بين ما هو اجتهاد من القارئ وبين ما هو منقول بخبر

(١) راجع في ذلك تلخيص التمهيد للشيخ محمد هادي معرفة : ١ / ٢٩٩ وما بعدها.

واحد[1]».

على أنّنا لا ننفي تدخّل الولاءات غير العربية في اختيار القراءات وتعدّدها، فالقرّاء لم يكونوا عرباً إلاّ ما ندر، وولاءاتهم لمواليهم ستكون سبباً في الرغبة للتميّز عن غيرهم من القرّاء الآخرين، فضلاً عن السعي إلى الشهرة والتخلّص من خمول الذكر الذي يصاحبهم ولإثبات شخصيّاتهم وذواتهم المضيعة والمختفية خلف العرب الأسياد الذين ينظرون إلى مواليهم نظرة إستعلائية إستكبارية.

قال أبو عمرو الداني: «ليس في القرّاء الشيعة من العرب سوى إثنين: عبد الله بن عامر اليحصبي قارئ دمشق، وأبي عمرو بن العلاء المازني قارئ البصرة».

قلت: أمّا ابن عامر فكان يزعم أنّه من حِمْير، غير أنّ ابن حجر ذكر أنّه ممّن يُغمز في نسبه.

وكذا أبو عمرو بن العلاء قيل: «إنّه من مازن تميم، لكن حكى القاضي أسد اليزيدي أنّه من فارس ـ شيراز ـ من قرية يقال لها «كازرون» وهي معمورة اليوم[2]».

---

(1) البيان في تفسير القرآن: ١٢٣.

(2) تلخيص التمهيد: ١ / ٣٢٧.

وللـتوجّهات السياسـية مـن جهـة وهيمـنة الحكومـات علـى المجريات الثقافية من جهة أُخرى أثرها في تعدّد هذه القراءات، فبعض القرّاء أو ممّن روى عنهم كانت لهم علاقات حميمة مع النظام السياسي آنذاك، وكانت لسلطته هذه أن مُنح تخويلاً في الاجتهاد بقراءته بغضّ النظر عمّا تخلّف هذه القراءة أوتلك من تحريف في القرآن الكريم، كما أنّ السلطة ترى أنّ لها تقدماً ملحوظاً في الجانب الديني، أي أنّ الإصلاح الديني من أولويات النظام وانتماء أحد القرّاء لهذه السلطة أو تلك لا يعني إلاّ أنّ هذا القارئ قد تحرّك تحت نظر السلطة فيما يخص القراءة القرآنية وهي إحدى الخطوات الإصلاحية التي كانت تقدّمها السلطة للدين، وبذلك تحاول السلطة الحصول على شرعية ما لأنّها القيّمة على النظام الإصلاحي الديني، ومثالاً على ذلك فإنّ عبد الله بن عامر اليحصبي كان «رئيس أهل المسجد زمان الوليد بن عبدالملك... وقال أبو عمرو الداني: ولي قضاء دمشق بعد بلال بن أبي الدرداء، ثم كان على مسجد دمشق، لا يرى فيه بدعة إلاّ غيّرها... »[1].

كما أنّ راوي ابن كثير قارئ أهل مكة قنبل وهو محمد بن

(١) تهذيب التهذيب: ٥ / ٢٧٤.

عبدالرحمن بن محمد بن خالد المخزومي مولاهم المكي، كان على الشرطة بمكة، قال ابن حجر العسقلاني: ولّي الشرطة فخربت سيرته...[1].

وهكذا تتدخل الولاءات السياسية في ترويج القراءات وتفضيل أحدها على الآخر.

سابعا: دور الأنظمة السياسية في مشكلة جمع القرآن

لم تُبقِ الأنظمة السياسية هيمنتها في مجال الحكم فحسب، بل بسطت نفوذها حتّى على المستوى الفكري والاتجاه الثقافي كذلك.

أي حاولت السياسة أن تتدخل على الصعيد الديني كذلك، فالنظام السياسي السائد حرص أن لا ينفصل عن الدين وأن يكون نمط النظام الحاكم كالنمط السائد إبّان عصر النبوّة، وهو تكلّف زائد كما ترى، إذ لا يمكن أن يكون الحاكم الذي جاء بعد النبيّ ﷺ يتمتّع بقابليات خارقة ومواهب فذّة، كما هو الحال لدى النبيّ ﷺ عدا ما عُرف عن عليّ بن أبي طالب عليه السلام من مواهب القيادة الدينية فضلاً عن السياسية، وهو ليس تطرفاً للتعبّد بوجهة

(١) لسان الميزان: ٥ / ٢٨٢.

نظر خاصة، بل إنّ حقيقة الأحداث أكّدت ذلك، فقد ساد الشعور إبّان دولة عليّ عليه السلام بأنّه عصر ينتسب إلى عصر النبيّ صلى الله عليه وآله في قيادته وكان الإصرار على أن يتمّ تقديم صورة أُخرى عن القيادة النبويّة يتأكد في كل تطبيقات القيادة الجديدة، لذا لم يجد بعضهم مندوحة للرضوخ إلى ما انتهجه عليّ عليه السلام في صرامة مواقفه لتطبيق الإسلام بحذافيره.

ولا يهمّنا التعرّض أكثر من ذلك بقدر ما أردنا الإشارة إلى أنّ تدخّل القيادة السياسية في الأُمور الدينية يعرقل بعض الإنجازات التي كانت من المفترض أن يقوم بها غيرها.

كان جمع القرآن أمراً مشوباً بالمخاطر بعد ما اتّخذ عنواناً سياسياً أسبغته عليه القيادة، فالقيادة حاولت أن تسجل لنفسها مفخرة على حساب الموروث الديني، إلاّ أنّها أخطأت في موردين، أحدهما حظرها الحديث النبويّ لأسباب سياسية لا مجال هنا لذكرها[1]. والثاني محاولتها جمع القرآن.

فقضية جمع القرآن قضية إدانة أكثر من كونها مكرمة تعتزّ بها القيادة، إذ عمدت القيادة إلى تغييب القرآن الكريم عن التداول بحجّة اكتفائها بما هو محفوظ لدى المسلمين،

(١) راجع تاريخ الحديث النبويّ بين سلطة النصّ ونصّ السلطة للمؤلف.

وأبعدت نسخته الأصلية المحفوظة لدى النبيّ ﷺ عن التداول، بل حظرت التعامل به لئلاّ تحظى المعارضة باهتمام المسلمين وبالتالي تتوجّه الأنظار إليها وهي في مرحلة إثبات شرعيتها، فإذا كانت المعارضة التي يتزعّمها عليّ بن أبي طالب عليه السلام نجحت في تقديم القرآن الكريم للمسلمين، فمعنى ذلك أن المعارضة تتمسّك بشرعية وراثة النبيّ ﷺ في خلافته، كما حظيت هي بوراثة القرآن المحفوظة لديه ﷺ، لذا فالروايات التي بين أيدينا تؤكّد أنّ علياً عليه السلام جمع القرآن بُعيد وفاة النبيّ ﷺ، وجمعه بمعنى ترتيبه وإخراجه منظوماً حسب ترتيب سوره، فقد روى اليعقوبي: «أنّ عليّ بن أبي طالب كان جمعه لمّا قُبض رسول الله ﷺ وأتى به يحمل على جمل، فقال هذا القرآن قد جمعته»[1].

وفي مصنف ابن أبي شيبة: «لما استخلف أبو بكر، قعد عليّ في بيته، فقيل لأبي بكر، فأرسل إليه: أكرهت خلافتي؟ قال: لا، لم أكره خلافتك، ولكن كان القرآن يزاد فيه، فلمّا قبض رسول الله ﷺ جعلت عليَّ أن لا أرتدي إلاّ إلى الصلاة حتّى أجمعه للناس» فقال أبو بكر: نِعمَ

(١) تاريخ اليعقوبي : ٢ / ٢٢.

ما رأيت»[1].

وفي كنز العمال: لمّا توفّي النبيّ صلى الله عليه وآله أقسم عليّ أن لا يرتدي برداء إلاّ الجمعة حتّى يجمع القرآن في مصحف، ففعل، وأرسل إليه أبو بكر بعد أيام: أكرهت إمارتي يا أبا الحسن؟ قال: لا والله إلا أنّي أقسمت أن لا أرتدي برداء إلاّ الجمعة، فبايعه ثم رجع...»[2].

هذه هي الروايات السنيّة تروي أنّ عليّاً جمع القرآن وأقرّه على ذلك أبو بكر، إلا أنها ساكتة عن مصير هذا القرآن، هل قبلوه وأقرّوه، أم تحفّظوا على قبوله والإقرار به.

إلا أنّ الروايات الشيعية تؤكّد أنّ عليّاً عليه السلام جمع القرآن، إلا أنّه جوبه بمعارضة القيادة في قبوله والإقرار به، بحجة أنّها تملك النصوص القرآنية، فأقفل عليٌّ راجعاً ومعه القرآن.

ففي الكافي في رواية عن أبي عبدالله الصادق عليه السلام: إلى أن قال: أخرجه ـ أي المصحف ـ إلى الناس حين فرغ منه وكتبه، فقال لهم: «هذا كتاب الله عزّ وجلّ كما أنزله الله على محمّد صلى الله عليه وآله وقد جمعته بين اللوحين»، فقالوا: هوذا عندنا مصحف جامع فيه القرآن لاحاجة

(١) مصنف ابن أبي شيبة: ٧ / ١٩٧.

(٢) كنز العمال: ٣ / ١٢٧.

لنا فيه، فقال: «أما والله ما ترونه بعد يومكم هذا أبداً، إنّما كان عليّ أن أُخبركم حيث جمعته لتقرؤوه»[1].

وفي رواية سليم بن قيس «... فلما رأى غدرهم وقلّة وفائهم له لزم بيته وأقبل على القرآن يؤلّفه ويجمعه، فلم يخرج من بيته حتّى جمعه، وكان في الصحف والشظاظ والأسيار والرقاع».

فلمّا جمعه كلّه، وكتبه بيده على تنزيله وتأويله، والناسخ والمنسوخ بعث إليه أبو بكر أن أخرج فبايع، فبعث إليه عليّ عليه السلام: «إنّي لمشغول وقد آليتُ على نفسي يميناً أن لا أرتدي رداءً إلا للصلاة حتّى أؤلّف القرآن وأجمعه».

فسكتوا عنه أياماً فجمعه في ثوب واحد وختمه، ثم خرج إلى الناس وهم مجتمعون مع أبي بكر في مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله، فنادى عليّ عليه السلام بأعلى صوته: «يا أيّها الناس، إنّي لم أزل منذ قبض رسول الله صلى الله عليه وآله مشغولاً بغسله، ثم بالقرآن حتّى جمعته كلّه في هذا الثوب الواحد، فلم ينزّل الله تعالى على رسول الله صلى الله عليه وآله آية إلاّ وقد جمعتها، وليست منه آية إلاّ وقد أقرأنيها رسول الله صلى الله عليه وآله وعلّمني تأويلها».

ثمّ قال لهم عليّ عليه السلام: «لئلاّ تقولوا غداً أنّا كنا عن هذا غافلين».

---

(١) الأصول من الكافي: ج٢ ص٦٣٣ ح٢٣.

ثـم قال لهم عليّ عليه السلام «لئلاّ تقولوا يوم القيامة أنّي لم أدعكم إلى نصـرتي، ولم أذكّركم حقّي، ولم أدعكم إلى كتاب الله من فاتحته إلى خاتمته».

فقال عمر: «ما أغنانا بما معنا من القرآن عمّا تدعونا إليه»[١].

إذن فالـروايات الشـيعية والسـنّية مـتّفقة أنّ علـيّاً عليه السلام قـد جمـع القـرآن، إلاّ أنّ الروايات السنّية تتجاهل مصير هذا القرآن وتتوقف فـي بـيان قـبول أو رفـض القـرآن مـن قـبل القيادة، إلاّ أنّ الروايات الشيعية تحمّل مسؤولية عدم قبول القرآن الذي جمعه علي عليه السلام على عـاتق القـيادة، وهـو أمـر طبيعـي فـي ظـل الظـروف المتشـنّجة التي عاشـتها القـيادة السياسية وقتذاك، فمحاولات الرفض وعدم التسليم والقـبول من قبل المعارضة لتحرّك القيادة وإعلان زعامتها المفاجئة للمسـلمين دون مشورة المسلمين أوجدت حالات من التشنّج حيال المعارضـة للقـيادة الجديـدة، وبالمقـابل فـإن القيادة السياسية كانت متوجّسـة من سريان هذا الرفض لجميع القواعد الشعبية لولا السطوة العسـكرية وأُسلوب العنف والتهديد الذي استعملته القيادة الجديدة بعد تسلّمها زمام الأمور، هذا من ناحية.

ومـن ناحـية أُخـرى فـإنّ روايـات كـتّاب الوحـي تحثّـنا علـى

---

(١) كتاب سليم بن قيس: ٢ / ٥٨٢ تحقيق الشيخ محمد باقر الأنصاري.

التساؤل عن مصير ما كتبه هؤلاء الكتّاب ساعة نزول الوحي وأمر النبيّ صلى الله عليه وآله بكتابته، ومن العسير جداً أن نقبل الرأي القائل بأنّ القرآن كان مبعثراً في صحف هذا أو صحف ذاك وكان بعضهم يحتفظ بسورة والآخر يحتفظ بأكثر من آية دون أن يستطيع النبيّ صلى الله عليه وآله الحفاظ على القرآن من التبعثر والضياع، فمسؤولية النبيّ صلى الله عليه وآله في حفظ القرآن وصيانته لا تقلّ أهميتها عن تبليغه، إذن فهل يمكننا قبول أنّ القرآن بقي مبعثراً حتّى أواخر عهد الخليفة الأول، فجمعه في قرآن جامع وأعاد عثمان المحاولة ثانيةً؟!

ولمناقشة ذلك يمكن ذكر ما يلي:

أولاً: أنّ القيادة الجديدة في بادئ الأمر حاولت إبعاد المعارضة عن الظهور على مسرح الأحداث، وسدّ الطريق عليها بوسائل العنف والتهديد، وكان لدى المعارضة فرصة إثبات شرعيّتها ساعتئذٍ في أنها الوريثة الوحيدة للنبيّ صلى الله عليه وآله فكما هي ورثت القرآن الذي أودعه إيّاها، فإنّ إمكانية وراثة الخلافة أمر ممكن وفرض مقبول دون الحاجة إلى إثبات ذلك بوسائل أُخرى، وإذا علم المسلمون أن عليّاً عليه السلام هو القيّم على جمع القرآن ومعرفة تفسيره وتأويله، فَلِمَ يكون لغيره الحقّ في التقدّم لزعامة المسلمين، وهو الأمر الذي يرتكز في نفوس المسلمين جميعاً، إلاّ أنّ جمع

القرآن هي الآلية التي تتيسّر في هذه الظروف لتذكير المسلمين بأحقّيّة أهل البيتعليهم السلام وتحريك الشعور العام واحتوائه، لذا فالقيادة الجديدة كانت متوجّسةً من هذا المحذور ما جعلها تفرض حصارها على عليّ بن أبي طالبعليه السلام وإلغاء دوره أو تهميشه، فكان جمع القرآن ضحيّة هذا الإجراء السياسي الصارم.

ثانياً: أنّ عليّاًعليه السلام كونه القيّم على القرآن الذي أودعه رسول اللهصلى الله عليه وآله عنده فمن غير الممكن أن يحجبه عن المسلمين ويحرمهم منه، فإن ذلك يُعدّ تفريطاً بالقرآن وتضييعاً لحقوقه، وعليٌّعليه السلام أجلّ من أن يكون مفرّطاً بكتاب الله، أو مضيّعاً لحقوقه، فقد بذل كل جهوده من أجل إبقاء دين الله، فتضحيته بحقوقه ولزوم الهدنة بينه وبين غيره، دليل على حرصه أن لا تضيّع الأهواء دين الله، وتفريطه بحقوقه أهون عليه من التفريط بحقّ الله، إذن فعليّعليه السلام لم يكن معزولاً عن أهل مودّته وخاصّته وشيعته الذين انصاعوا لأمره بعدم التورّط في أحداث يذهب معها الدين الحنيف ضحية النزاع، بل آثروا التجنّب ولزوم الموادعة، إلاّ أنهم لم يؤثروا في دينهم على عليّعليه السلام من هو دونه، بل كان عليّعليه السلام مرجعهم فمنه يأخذون وإليه يرجعون، فالقرآن الجامع كان قد تداوله أصحاب عليّعليه السلام وشيعته وبثّوه بين المسلمين، فصارت قراءته

إحدى القراءات، فلمّا تعدّدت القراءات وخيف الاختلاف أمر الخليفة الأول بجمع الناس على قراءة واحدة ـ وسمّي بالجمع الأول ـ وكذلك أمرالخليفة الثالث بجمع الناس على قراءة واحدة ـ وسمّي بالجمع الثاني ـ فكانت هي قراءة القرآن الذي جمعه عليّ عليه السلام وهو المتواتر بين المسلمين اليوم.

نعم، ربما أدخلت السياسة التقديم والتأخير في نظمه فهو شيء محتمل فضلاً عن إبعاد القرآن الذي فيه التفسير والتأويل عند عليّ عليه السلام عن التداول واحتفظ به أهل البيت عليهم السلام وحدهم واختصوا به دون غيرهم.

إذن:

فخلاصة النقطة الثانية ستكون في نتيجتين محتملتين:

النّتيجة الأُولى المحتملة

أن يكون القرآن الذي جمعه عليّ عليه السلام قد تداولته شيعته وأصحابه، وكانت إحدى القراءات المتداولة، فلما أرادوا جمع القرآن قرّروا الأخذ بالقراءة المتداولة ـ إذا ذهبنا إلى أنّ الجمع يعني الأخذ بالقراءة المتداولة ـ فإنّ القراءة المتداولة الصحيحة هي قراءة القرآن الذي كان عند عليّ عليه السلام واتّفق المسلمون اليوم على قراءته وتداوله، فهي القراءة المشهورة والنسخة المتداولة، فقراءة

عاصم هي القراءة المشهورة المعروفة «وكل ما رأيناه من المصاحف القديمة والحديثة قد رسم خطه على طبق أصله»[(١)].

قال حفص: قال لي عاصم: ما كان من القراءة التي أقرأتك بها فهي القراءة التي قرأت بها على أبي عبدالله السلمي عن عليّ عليه السلام[(٢)].

إذن فالمتداولة هي قراءة عاصم المقروءة عن عليّ عليه السلام.

النتيجة الثانية المحتملة

إنّ الخليفة الأول، ومثله الخليفة الثالث قد أقرّا ما جمعاه في قرآن واحد، وفرضا على الناس تداوله وقراءته، إلاّ أنّ ذلك لم يحظ بالقبول من قبل الناس، بل رجعوا إلى القرآن الذي جمعه عليّ عليه السلام وغلب على الناس، فاضطرّ الباقون للقبول بواقع الأمر وخضوعهم إلى قبول ما في أيدي الناس، فكان بعد ذلك قرآن عليّ عليه السلام هو المتداول وقراءته هي المشهورة.

أين المشكلة إذن ؟

المشكلة تكمن في عدم قبول القيادة الجديدة بقرآن عليّ عليه السلام من أول الأمر ومحاولة حجبه، فعلى الرأيين إن كان الجمع، يعني

---

(١) معجم رجال الحديث: ٩/ ١٧٨.

(٢) طبقات القرّاء: ١/ ٣٤٨، عنه معجم رجال الحديث المصدر نفسه.

جمع القرآن في مصحف واحد، أوجمع الناس على قراءة واحدة، فانّ نفس التلكّؤ والتأخير أوجدا فاصلاً زمنياً ليس قليلاً إنبثقت من خلاله محاولات التحريف، وهذه المحاولات إمّا كانت عن عمد أو عن جهل، فقد أوجد عدم القبول بمصحف عليّعليه السلام من أول الأمر مناخاً مناسباً لتنامي الاحتمالات وحالات الوهم، ومحاولات الوضع طريقها إلى الواقع، أي واقع البحث العملي دون المساس بقرآنية القرآن الكريم.

ولابدّ لنا من التسليم بأنّ القراءات بدأت تنشأ في الفترة التي حظر فيها التعامل مع قرآن عليّعليه السلام بعد رفضهم لقبوله بُعيد رحيل النبيّصلى الله عليه وآله وبالتأكيد فإنّ باب الاجتهاد والتكلّف في القراءة بدأت تتصاعد وتائرها، بل بدأ التنافس بين المسلمين يتنامى في ظل غياب القرآن الجامع المحظور وهو الأمر الذي يدفعنا الى إدانة القيادة زمن الشيخين في تلكّئها بقبول القرآن الذي جاء به عليّعليه السلام، فإن التنافس السياسي والشحناء التي امتازت بها تحرّكات القيادة ضد معارضيها فرّطت بأقدس ما يملكه المسلمون وهو القرآن الكريم، إلاّ أنّ الله حفظه لهم وأعاده إليهم بعد ما حاول أصحاب القرار السياسي أن يتصرّفوا وفقاً للمقاييس السياسية التي تضمن لهم الربح والخسارة في شأن جمع القرآن وتداوله.

والروايتان الآتيتان تحتّمان علينا القبول بنشوء القراءات إبّان عهدي الشيخين ونَمَت في عهد الخليفة الثالث.

الرواية الأولى:

روى زيد بن ثابت، قال:

«أرسل إليّ أبو بكر مقتل أهل يمامة فإذا عمر بن الخطاب عنده، قال أبو بكر: أنّ عمر أتاني فقال: إنّ القتل قد استحرّ يوم اليمامة بقرّاء القرآن وأنّي أخشى أن يستحرّ القتل بالقرّاء بالمواطن، فيذهب كثير من القرآن، وأنّي أرى أن تأمر بجمع القرآن. قلت لعمر: كيف تفعل شيئاً لم يفعله رسول الله؟ قال عمر: هذا والله خير، فلم يزل عمر يراجعني حتّى شرح الله صدري لذلك، ورأيت في ذلك الذي رأى عمر.

قال زيد: قال أبو بكر: إنّك رجل شاب عاقل لا نتّهمك وقد كنت تكتب الوحي لرسول الله ﷺ فتتبّع القرآن فاجمعه، فو الله لو كلّفوني نقل جبل من الجبال ما كان أثقل عليَّ ممّا أمرني من جمع القرآن، قلت: كيف تفعلون شيئاً لم يفعله رسول الله ﷺ؟ قال: هو والله خير، فلم يزل أبو بكر يراجعني حتّى شرح الله صدري للذي شرح له صدر أبي بكر وعمر» فتتبّعت القرآن أجمعه من

العسب واللخاف وصدور الرجال حتّى وجدت آخر سورة التوبة مع أبي خزيمة الأنصاري لم أجدها مع أحد غيره:

﴿ لَقَدْ جَاءكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ، فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُلْ حَسْبِيَ اللّهُ لا إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴾.

حتّى خاتمة براءة، فكانت الصحف عند أبي بكر حتّى توفّاه الله ثم عند عمر في حياته، ثم عند حفصة بنت عمر[١].

الرواية الثانية:

روى ابن شهاب أنّ أنس بن مالك حدّثه:

«أنّ حذيفة بن اليمان قدم على عثمان وكان يغازي أهل الشام في فتح أرمينية وأذربيجان مع أهل العراق، فافزع حذيفة اختلافهم في القراءة، فقال حذيفة لعثمان: يا أمير المؤمنين أدرك هذه الأُمّة قبل أن يختلفوا في الكتاب اختلاف اليهود والنصارى، فأرسل عثمان إلى حفصة أن أرسلي إلينا بالصحف ننسخها في المصاحف، ثمّ نردّها إليك، فأرسلت بها حفصة إلى عثمان، فأمر زيد بن ثابت، وعبد الله بن الزبير، وسعيد بن العاص، وعبد الرحمن بن الحرث بن

(١) صحيح البخاري: ٢٢٥/٣.

هشام، فنسخوها في المصاحف، وقال عثمان للرهط القرشيين الثلاثة إذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت في شيء من القرآن فاكتبوه بلسان قريش، فإنما نزل بلسانهم، ففعلوا حتّى إذا نسخوا الصحف في المصاحف ردّ عثمان الصحف إلى حفصة، فأرسل الى كل أُفق بمصحف ممّا نسخوا، وأمر بما سواه من القرآن في كل صحيفة، أو مصحف أن يحرق»[1].

هاتان الروايتان تثبتان أنّ هناك فترة زمنية بين وفاة النبيّ ﷺ وبين جمعهم للقرآن، وبالتأكيد فقد نشأت خلال الفترة التي سبقت الجمع قراءات عدّة واجتهادات تدخّلت في اختيار القراءة التي تتناسب وذوق المقرئ واجتهاده، وهذا لعمري أول سبب على ما نراه لنشوء التحريف ومحاولات المحرّفين الزجّ بآرائهم من أجل تحقيق أغراض تستثمر مصالحها جهاتٌ خاصّة لم توفّق في مهمتها ونواياها.

ثامنا: التهاون في صيانة القرآن الكريم من التقديم والتأخير

يبدو أنّ حالات التهاون في حفظ الآيات القرآنية كان لها أثرها في محاولات التحريف.

(١) البيان في تفسير القرآن: ٢٣٩.

فقد أجاز بعض أهل السنّة التقديم والتأخير في النصّ القرآني، وأباحوا ذلك بشرط الحفاظ على معاني الآية القرآنية.

وهو تطرّف زائد كما ترى في فتح باب الاجتهاد في النصّ القرآني، ما أتاح للبعض أن يتلاعب بألفاظ الآية بحجّة جواز التقديم والتأخير دون المساس بالمعنى.

فقد روى أبو أويس: سألت الزهري عن التقديم والتأخير في الحديث، فقال: هذا يجوز في القرآن، فكيف به في الحديث إذا أصيب الحديث فلا بأس[(١)].

كانت الآراء المسامحة في التصرّف بالنصّ القرآني تُتيح للآخرين أن يجتهدوا في قراءاتهم مهما بلغت تلك القراءات وتعدّدت، وهو في حقيقته انفلات لقريحة الوضع دون طائل، ومحاولة خاسرة لرفع الحصانة عن النصّ القرآني الذي لا يمكن أن تتدخّل الأذواق فيه والاجتهادات الخاصّة في صياغته.

ففي تخويل البعض التصرف بقراءاته تنبثق لدينا مشكلة التحريف بشكل فجّ يثير المرارة.

فقد روى أحمد من حديث أبي بكر أنّ النبيّ ﷺ استزاد من جبرئيل في أحرف القراءة حتّى بلغ سبعة أحرف، قال: يعني جبريل

---

(١) إعلام الخلف: ٣ / ١٩٩.

كلّها شاف كاف ما لم تختم آية عذاب برحمة وآية رحمة بعذاب.

ويروي أبو داود في سننه عن أُبي عن رسول اللهﷺ - إلى قوله- : حتّى بلغ سبعة أحرف، ثم قال: ليس منها إلا شاف كاف، إن قلت سميعاً عليماً عزيزاً حكيماً ما لم تختم آية عذاب برحمة أو آية رحمة بعذاب.

وأخرج ابن جرير عن أبي هريرة عنهﷺ: أنّ هذا القرآن نزل على سبعة أحرف، فاقرأوا ولا حرج ولكن لا تجمعوا ذكر رحمة بعذاب ولا ذكر عذاب برحمة[1].

هذه هي إحدى آليات التحريف المعتمدة لدى البعض سبّبتها حالات التهاون والمسامحة في ضبط النصّ القرآني وحفظ قرآنية القرآن الكريم.

(١) راجع في استقصاء هذه الموارد مقدمة مجمع البيان للشيخ محمّد جواد البلاغي.

الشيعة والتحريف

لا يمكننا الآن أن نتخلّى عن حياديّتنا حيال أهمّ وأقدس موروث ورثه المسلمون، فقداسة القرآن تطغى على كل محاباة تقتحم وجدان الإنسان ومشاعره وهو في غمرة الخوض بأخطر البحوث على الإطلاق، فقد احتل القرآن الكريم الصدارة في الموروث التقديسي لدى المسلمين، ولعلّ محاولات التحريف التي حامت حوله كانت دوافعها بسبب ما للقرآن من قدسيّة بين المسلمين، فالوضّاعون حاولوا النيل من قداسة القرآن الكريم لأنّ قداسة المسلمين مستمدّة منها، ودفع التنافس السياسي الذي أربك المواقف بالقيادات السياسية أن تزجّ بنفسها في معترك جمع القرآن وقد أخفقت في جمعه، لكنها سعت إلى تحريك محاولات تحريفه، ـ كما أشرنا ـ ولم تحظ محاولاتهم في هذا المجال بتأييد المسلمين الذين يتطلّعون إلى الاهتمام بالقرآن الكريم ومحاولات حفظه وصيانته، فبقيت هذه المحاولات ضمن إطار المناورة السياسية التي تجيد لعبتها.

إلاّ إنّ ذلك لم تتوفّر دواعيه لدى الشيعة من بادئ الأمر،

فالعهد الذي تكلّل بالابداع الفكري الذي تزعّمه عليّ عليه السلام إبّان عهده جعل للقرآن الكريم الحظوة في الاهتمام والأولوية في العمل، ولم نجد ما يدعو إلى تعرّض القرآن الكريم للتحريف.

فإنّ القيمومة على القرآن كان يتأهّل بها عليّ بن أبي طالب عليه السلام لما حظي به من قربٍ من رسول الله صلى الله عليه وآله، فكانت ملازمته له والأخذ عنه سبباً في أن يكون جهد عليّ عليه السلام موفوراً على القرآن واهتمامه منصبّاً فيه، وأهمّ خطوة خطاها عليّ بن أبي طالب عليه السلام على الاطلاق هو حفظه للقرآن وصيانته له من العبث، وبالتالي تقديمه للمسلمين محفوظاً بقداسته.

نعم، ممّا يؤاخذ على القيادة السياسية في تعاطيها مع القرآن أنها لم تستغل ما قدّمه عليّ عليه السلام من التفسير الذي كان مع القرآن فهي حاولت وبكل أسف أن تنتقي النصوص وتترك التفسير الذي كلّف الأُمّة تركه وتغييبه، بروز الآراء الاجتهادية وانبثاقها عن رغبات كانت على حساب مفاهيم القرآن ومعانيه.

صحيح أنّ أئمة أهل البيت عليهم السلام كانوا هم المرجع في معرفة القرآن وتفسيره لما ورثوا من القرآن وتفسيره عن عليّ عليه السلام، إلا أنّ ذلك بقي في حدود دائرة شيعتهم وخاصّتهم.

ولنا أن نتساءل الآن: لماذا لم يجدّد عليّ بن أبي طالب عليه السلام

محاولته في فرض القرآن الذي ورثه من النبيّ‌صلى‌الله‌عليه‌وآله مع تفسيره وحمل الأُمّة ـ على الأقل أيام خلافته ـ على الأخذ به وفرض التعاطي معه رسمياً وشعبياً؟

وللوقوف على أسباب ذلك، فإنّنا لا يمكننا أن نتجاهل التداعيات السياسية التي عاشها عليّ إبّان السقيفة حتّى فترة حكمه.

فقد كان عليّ‌عليه‌السلام ـ كما ذكرنا ـ مأخوذاً بالظرف المتشنّج الذي اعتمدته القيادة، أي كان عليّ‌عليه‌السلام تحت وطأة الأحكام العرفيّة التي تدين أيّة حركة على أساس التهمة المحتملة، أو على أساس المعارضة القادمة من رحم الأحداث التي أحدثتها حركة السقيفة الإنقلابية، وبالتأكيد أنّ ذلك سيُبرزُ معارضة على اختلاف توجّهاتها، بل على اختلاف مستوياتها، فالمعارضة السياسية تتّكئ على المعارضة الفكرية التي أدانت السقيفة بأنّ عملها خروج على الموروث الذي يفترض الأخذ به، وهو الوصاية من قبل رسول الله‌صلى‌الله‌عليه‌وآله إلى المؤهّل لخلافته بعد أن عرف رسول الله‌صلى‌الله‌عليه‌وآله قدرات ومواهب عليّ بن أبي طالب‌عليه‌السلام أثناء ملازمته للنبيّ‌صلى‌الله‌عليه‌وآله طيلة فترة حياته، ورسول الله‌صلى‌الله‌عليه‌وآله أجَلّ من أن تأخذه أهواء القربى ونوازع العصبية دون أن يقدّم ما عرفه من مواهب القيادة في عليّ‌عليه‌السلام وتُحال المعارضة الفكرية إلى معارضة سياسية متنامية إلى

رؤى وأُطروحات في الخلافة والحكم.

إذن فعليٌّ عليه السلام «بكل تفاصيله» معارضة تقليدية لأيّة قيادة سياسية سوف تبتني كياناتها على قواعد السقيفة وأُسسها، فأقوال عليّ عليه السلام وخطبه ومناهجه حتّى قرآنه الذي تعهّد بتفسيره وتأويله يُعدّ معارضة خارجة على القانون، بل تنامى هذا الشعور لدى القواعد الشعبية حتّى أخذت تتعاطى ذلك في أدبيّاتها، لتتكوّن بذلك العقلية الإسلامية الشعبية على أنّ كل ما لم يألفه المسلمون إبّان عهد الشيخين هو خروج على المألوف الشرعي الذي لا يمكن التعامل معه، وإلاّ ماذا يعني قول عليّ «لا يهاج القرآن اليوم»[1]. إلاّ دليلاً على أنّ عليّاً عليه السلام كانت تطوّقه تقليديات السقيفة التي لا يمكنها أن تترك له شأناً في التحرك أو فرصة في الاصلاح، والحروب الثلاثة الّتي أحاطت بفرصه في الاصلاح ـ صفين والجمل والنهروان ـ دليل على حركة السقيفة السلبية وفاعليتها المعارضة ضدّ عليّ عليه السلام حتّى في حكمه.

إذن فلا يمكن أن يفرض عليٌّ عليه السلام ما لديه من القرآن المفسّر على مكوّنات عقلية السقيفة وامتداداتها. وعلى أيّ حال نبقى نسجّل لعليّ عليه السلام وبكل اعتزاز ما بذله من أجل حفظ القرآن وصيانته

---

(١) إعلام الخلف: ٣/ ١٤٨.

من التحريف وذلك فيما قدّمه من النصّ القرآني المفسّر، إذ القرآن لا يحفظ في نصوصه فقط، بل في تفسيره كذلك والنصوص الخالية من التفسير توفّر فرصاً أكثرفي إقحام الآراء والاجتهادات التي تنشأ منها محاولات التحريف، ومحاولة عليّعليه السلام في تقديم النصّ المفسّر بقرآنيته أُحيطت بالمعارضة الشديدة من قبل السياسة بكل تأكيد، إلاّ أنهّا تبقى تفعل فاعليّتها طالما تعيش حيويتها في حركة الإمامة أي اهتمام أئمة أهل البيتعليهم السلام في تقديم القرآن بنصوصه المفسّرة متى دعت الحاجة إلى ذلك.

إلاّ أنّ امتدادات القيادة السياسية تحوم حول فرص الاستفادة من الثروة التفسيرية التي خلّفها عليّعليه السلام، حتّى أجالت هذه الجهود الرائعة إلى محاولات تشهير تقطع الطريق على محاولات أئمة أهل البيتعليهم السلام في التفسير متهمة الجهود التفسيرية بأنها حالات تحريف تطال القرآن، إلاّ أنّ الحقّ خلاف ذلك، فإنّ الروايات التي بين أيدينا تدين محاولات التحريف وتحمّل المسؤولية في ذلك على القيادات السياسية الرافضة لحالات التفسير وتتّهمها هي بأنّها محاولات تحريف.

إلاّ أنّ ذلك كما نرى تفريط غير مشروع بالتراث القرآني، فالشيعة من خلال متابعتنا لجهودهم حرصوا على إحباط محاولات

التحريف وتصدّوا لها بكل قوّة، أمّا أنّهم يتّهمون بمحاولات التحريف فأمر ليس عملياً، إذ التحريف يعني دعوى سقوط آيات من النص القرآني ونقصان القرآن، أو زيادته لابدّ أن يصدر على لسان علمائهم، في حين لم نجد لهذا المعنى من أثر في تراثيات الشيعة وأدبياتهم.

نعم، حاولت بعض الجهات أن تستغل الروايات التي تشير إلى تفسير الآية بأنها محاولة تحريف دون الالتفات إلى مضامين هذه الروايات أو تغافلها تعمّداً من أجل إلصاق تهمة التحريف بالشيعة، في حين لا تتعدّى هذه الروايات عن ذكر معنى الآية، أو أنّ نزول الآية بمعناها كذا وليس كما يُظنّ أنّها كذا.

وهكذا فبالإمكان استعراض بيليوغرافيا للروايات المفسّرة التي يستغلّها البعض لينسبها إلى التحريف دون دقّة علمية وتروٍّ روائي.

روايات التفسير

ومن أجل الوقوف على ما تُتّهم من أجله الشيعة بأنه قولٌ بالتحريف ما روي عن الأئمة عليهم السلام بأن القوم حرّفوا القرآن ولم يدعوه كما أُنزل، وهكذا بعض الروايات التي تظهر فيها إدانة

للبعض على ما ارتكبوه من تحريف في المعنى، فمن هذه الروايات:

عن جابر قال: قال أبو جعفرعليه السلام: دعا رسول الله صلى الله عليه وآله أصحابه بمنى، فقال : «يا أيها الناس، إنّي تارك فيكم الثقلين أما إن تمسّكتم بهما لن تضلّوا: كتاب الله وعترتي أهل بيتي، فإنهما لن يفترقا حتّى يردا عليَّ الحوض، ثمّ قال: أيها الناس، إنّي تارك فيكم حرمات الله: كتاب الله وعترتي والكعبة البيت الحرام» ثمّ قال أبو جعفرعليه السلام: «أمّا كتاب الله فحرّفوا، وأما الكعبة فهدموا، وأما العترة فقتلوا، وكل ودائع الله فقد تبّروا»[1].

يرد الحديث بلهجة مشعرة بالمرارة والحزن لما حلّ بوصية رسول الله صلى الله عليه وآله، ويشير الإمام الباقرعليه السلام إلى خيبة الأمل لما ارتكب في حقّ ما كان ينبغي أن يُحفظ، ثمّ يشدّد على انتهاك حرمة الكتاب بالعمد إلى تحريفه، وتحريف الكتاب يعني عدم حفظه وعدم الاعتناء بتنزيله، وتحريف المعنى الحقيقي الذي ينبغي أن يُصان به، حيث حرّفوا تفسيره وحادوا عن معناه، وإلاّ لو كانوا قد حفظوا حدود الكتاب، لما أضاعوا العترة بين أظهرهم ولما عمدوا إلى قتلهم والتنكيل بهم، فإنّ الكتاب قد أوصى بالعترة وشدّد على

---

(١) البحار: ٢٣/١٤٠.

عظيم منزلتها ولو لم يحرّف هؤلاء الكتاب لما أضاعوا العترة حقّها.

وفي خطبة الإمام الحسينعليه السلام يوم عاشوراء مخاطباً الجيش الأُموي بقوله: «إنّما أنتم طواغيت الأمّة، وشذّاذ الأحزاب، ونبذة الكتاب، ونفثة الشيطان، وعصبة الآثام، ومحرّفي الكتاب»[1].

فتمرّد القوم يكشف عن تحريفهم لمعنى الكتاب كونهم لم يتعاطوا مع الإمامعليه السلام كما ينبغي، ولم يحفظوا حرمته كما أوصاهم الكتاب به، فتحريفهم لتفسير الكتاب ومعانيه، دعاهم إلى الخروج عن طاعة الإمامعليه السلام والسعي إلى قتله.

ومن المفيد جداً أن نتعرّض لرسالة الإمام الباقرعليه السلام التي بعث بها إلى سعد الخير، هذا نصّ بعضها:

بسم الله الرحمن الرحيم

أمّا بعد: فإنّي أُوصيك بتقوى الله فإنّ فيها السلامة من التلف والغنيمة في المنقلب إنّ الله عزّ وجلّ يقي بالتقوى عن العبد ما عزب عنه عقله، ويجلي بالتقوى عنه عماه وجهله.

وبالتقوى نجا نوح ومن معه في السفينة

---

(١) البيان: ٢٢٧.

وصالح ومن معه من الصاعقة.

وبالتقوى فاز الصابرون ونجت تلك العصب من المهالك ولهم إخوان على تلك الطريقة يلتمسون تلك الفضيلة، نبذوا طغيانهم من الإيراد بالشهوات لما بلغهم في الكتاب من المثلات.

حمدوا ربّهم على ما رزقهم وهو أهل الحمد، وذمّوا أنفسهم ما فرّطوا وهم أهل الذّمّ، وعلموا أنّ الله تبارك وتعالى الحليم العليم إنّما غضبه على من لم يقبل منه رضاه، وإنّما يمنع من لم يقبل منه عطاه، وإنّما يضلّ من لم يقبل هداه، ثمّ أمكن أهل السيّئات من التوبة بتبديل الحسنات، دعا عباده في الكتاب إلى ذلك بصوت رفيع لم ينقطع، ولم يمنع دعاء عباده، فلعن الله الذين يكتمون ما أنزل الله.

وكتب على نفسه الرحمة فسبقت قبل الغضب، فتمّت صدقاً وعدلاً، فليس يبتدئ العباد بالغضب قبل أن يغضبوه، وذلك من علم

اليقين وعلم التقوى، وكلّ أمّة رفع الله عنهم علم الكتاب حين نبذوه وولاّهم عدوّهم حين تولّوه، وكان من نبذهم الكتاب أن أقاموا حروفه وحرّفوا حدوده، فهم يروونه ولا يرعونه، والجهّال يعجبهم حفظهم للرواية والعلماء يحزنهم تركهم للرعاية، وكان من نبذهم الكتاب أن ولّوه الذين لا يعلمون، فأوردوهم الهوى، وأصدروهم إلى الردى، وغيّروا عرى الدين، ثم ورثوه في السفه والصبا، فالأُمّة يصدرون عن أمر الناس بعد أمر الله تبارك وتعالى وعليه يردون، فبئس للظالمين بدلاً ولاية الناس بعد ولاية الله، وثواب الناس بعد ثواب الله ورضا الناس بعد رضا الله، فأصبحت الأُمة كذلك، وفيهم المجتهدون في العبادة على تلك الضلالة، معجبون مفتنون، فعبادتهم فتنة لهم ولمن اقتدى بهم.

وفي معرض تعليقه على قوله عليه السلام «وكان من نبذهم الكتاب أن أقاموا حروفه» قال الشيخ المازندراني في شرحه للكافي:

وكلماتـه واعـرابه وصـحّحوها عـن التصـحيف والـتحريف «وحـرّفوا حـدوده» وأحكامه، وجعلوا حلاله حراماً، وحرامه حلالاً، وولايـة الحـقّ مـردودة، وولايـة الـباطل مقـبولة «فهـم يـرونه بضبط حـروفه ومبانـيه»[1] أي أنّ هـؤلاء حفظـوا الشـكل وأضاعوا الحكم، واهتمّوا بالظاهر وفرّطوا بالمعنى.

(١) شرح الكافي للمازندراني: ١١ / ٣٧٨.

آراء علماء الشيعة في تحريف القرآن

لـم يسـلم الشـيعة مـن تهمـة التحريف، والظاهر أنّ الصراع لايزال محـتدماً بينهم وبين غيرهم ممّن رأى أنّ اتهام الشيعة بالتحريف يساعد على دفع مشكلة التحريف عن نفسه والتي علقت بتراثه بشكل فجّ.

بالـرغم مـن هـذه الـتهمة إلاّ أنّـنا لـم نجد ما يؤكّد ذلك، ولعلّ الصـراع السياسـي أجّـج الفتـنة ودعـا بعـض الأطراف للاستفادة من هذه التهمة لإلقائها على الشيعة، إلاّ أنّ ذلك لا يتعدّى عن المناورة السياسـية، فالذيـن تهمّهـم هـذه المـناورات أوغلـوا فـي هذه التهمة وجعلوها سلاحاً ذا حدّين، أحدهما دفع التهمة عن أنفسهم، والثاني التنكيل بالعدوّ التقليدي الذي أمكن اتّهامه بأيّة تهمة، لتبرير غايات سياسـية معيـنة، فـي حين نجد أنّ من علماء أهل السنّة الذين تجنّبوا الدخـول فـي المناورات السياسية مَن وقف موقفاً حيادياً وأكّد على تبرئة الشيعة من تهمة التحريف.

هـذه البيليوغرافـيا سـوف تعينـنا علـى دفع تهمة التحريف التي حـاول الـبعض إلصـاقها بالشـيعة وذلك من خلال استعراض لفتاوى علمائهم في هذا الشأن.

١- الشيخ الصدوق:

اعتقادنا أنّ القرآن الذي أنزله الله على نبيّه محمدﷺ هو ما بين الدفتين، وهو ما في أيدي الناس ليس بأكثر من ذلك. ومَن نَسب إلينا أنّا نقول أكثر من ذلك فهو كاذب[1].

٢- الشيخ المفيد:

وقد قال جماعة من أهل الإمامة أنّه لم ينقص من كلمة ولا من آية ولا من سورة، ولكن حذف ما كان مثبتاً في مصحف أمير المؤمنينعليه السلام من تأويله وتفسير معانيه على حقيقة تنزيله وذلك كان ثابتاً منزلاً وإن لم يكن من جملة كلام الله تعالى الذي هو القرآن المعجز، وقد يسمّى تأويل القرآن قرآناً، قال الله تعالى: ﴿وَلاتَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴾ فسمّي تأويل القرآن قرآناً، وهذا ما ليس فيه بين أهل التفسير اختلاف.

وعندي أنّ هذا القول أشبه من مقال من ادّعى نقصان كلمة من نفس القرآن على الحقيقة دون التأويل، وإليه أميل والله أسأل توفيقه للصواب[2].

---

(١) الاعتقادات: ٥٩.

(٢) أوائل المقالات: ٨٠ ـ ٨١.

٣- السيد المرتضى:

المحكي أنّ القرآن كان على عهد رسول الله ﷺ مجموعاً مؤلّفاً على ما هو عليه الآن، فإنّ القرآن كان يحفظ ويدرس جميعه في ذلك الزمان، حتّى عيّن على جماعة من الصحابة في حفظهم له، وأنه كان يعرض على النبيّ ﷺ ويتلى عليه وأنّ جماعة من الصحابة مثل عبدالله بن مسعود وأُبي بن كعب وغيرهما ختموا القرآن على النبيّ ﷺ عدّة ختمات، وكل ذلك يدلّ بأدنى تأمّل على أنه كان مجموعاً مرتّباً غير منثور ولا مبثوث[1].

٤- السيد ابن طاووس

في ردّه على الجياشي عندما قال: محنة الرافضة على ضعفاء المسلمين أعظم من محنة الزنادقة، وعلّل ذلك بقوله: بأنّ الرافضة تدّعي نقصان القرآن وتبديله وتغييره.

فردّ عليه ابن طاووس بقوله: كلما ذكرته من طعن أو قدح على من تذكر أنّ القرآن وقع فيه تبديل وتغيير فهو متوجّه على سيّدك عثمان بن عفان، لأن المسلمين أطبقوا أنه جمع الناس على هذا المصحف الشريف وحرّق ما عداه من المصاحف، فلولا اعتراف عثمان بأنه وقع تبديل وتغيير من الصحابة ما كان هناك مصحف

(١) تدوين القرآن، للشيخ علي الكوراني: ٤١.

يحرق وكانت تكون متساوية.

ويقال له: أنت مقرّ بهؤلاء القرّاء السبعة الذين يختلفون في حروف وإعراب وغير ذلك من القرآن ولولا اختلافهم ما كانوا سبعة، بل كانوا يكونون قارئاً واحداً، وهؤلاء السبعة منكم وليسوا من رجال من ذكرت أنّهم رافضة.

ويقال له أيضاً: إنّ القرّاء العشرة أيضاً من رجالكم وهم قد اختلفوا في حروف ومواضع كثيرة من القرآن، وكلّهم عندكم على صواب، فمن ترى ادّعى اختلاف القرآن وتغييره أنتم وسلفكم أو الرافضة؟ ومن المعلوم من مذهب الذين تسمّيهم رافضة أنّ قولهم واحد في القرآن[١].

٥- الشيخ الطوسي:

وأمّا الكلام في زيادته ونقصانه فما لا يليق به أيضاً، لأنّ الزيادة فيه مجمع على بطلانها، والنقصان منه. فالظاهر أيضاً من مذهب المسلمين خلافه، وهو الأليق بالصحيح من مذهبنا وهو الذي نصره المرتضى رحمه الله وهو الظاهر في الروايات ..، ورواياتنا متناصرة بالحثّ على قراءته والتمسّك بما فيه، وردّ ما يَرِد من اختلاف الأخبار في الفروع إليه.

---

(١) سعد السعود: ٢٩١.

وقد ورد عن النبيّ ﷺ رواية لا يدفعها أحد أنه قال: إنّي مخلف فيكم الثقلين، ما أن تمسّكتم بهما لن تضلّوا: كتاب الله وعترتي أهل بيتي وأنّهما لن يفترقا حتّى يردا عليّ الحوض. وهذا يدلّ على أنّه موجود في كل عصر، لأنّه لا يجوز أن يأمر بالتمسّك بما لا نقدر على التمسّك به كما أنّ أهل البيت عليهم السلام ومن يجب اتّباع قوله حاصل في كل وقت، وإذا كان الموجود بيننا مجمعاً على صحته، فينبغي أن نتشاغل بتفسيره وبيان معانيه ونترك ما سواه[1].

٦- الشيخ الطبرسي:

فإنّ العناية اشتّدت، والدواعي توفّرت على نقله وحراسته، وبلغت إلى حدٍّ لم يبلغه فيما ذكرناه، لأنّ القرآن معجزة النبوّة، ومأخذ العلوم الشرعية والأحكام الدينية، وعلماء المسلمين قد بلغوا في حفظه وحمايته الغاية، حتّى عرفوا كلّ شيء اُختلف فيه من إعرابه وقراءته وحروفه وآياته، فكيف يجوز أن يكون مغيّراً أو منقوصاً مع العناية الصادقة والضبط الشديد[2].

٧- العلاّمة الحلّي:

في جوابه على سؤال هذا نصّه: «ما يقول سيّدنا في الكتاب

---

(١) تدوين القرآن : ٤٢.

(٢) نفس المصدر.

العزيز، هل يصحّ عند أصحابنا أنّه نقص منه شيء أو زيد فيه أو غيّر ترتيبه، أم لم يصحّ عندهم شيء من ذلك؟ أفدنا أفادك الله من فضله وعاملك بما هو أهله».

فأجاب رضوان الله عليه: «الحقّ أنهّ لا تبديل ولا تأخير ولاتقديم فيه، وأنّه لم يزد فيه ولم ينقص، ونعوذ بالله تعالى من أن يعتقد مثل ذلك وأمثال ذلك، فإنه يوجب التطرّق إلى معجزة الرسولﷺ المنقولة بالتواتر»[١].

٨- الفيض الكاشاني:

قال الله عزّ وجلّ: ﴿ وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ لا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلا مِنْ خَلْفِهِ ﴾.

وقال: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ .

فكيف يتطرّق إليه التحريف والتغيير؟ وأيضاً قد استفاض عن النبيﷺ والأئمةعليهم السلام حديث عرض الخبر المروي على كتاب الله ليعلم صحته بموافقته له، وفساده بمخالفته، فإذا كان القرآن الذي بأيدينا محرّفاً، فما فائدة العرض مع أنّ خبر التحريف مخالف لكتاب الله مكذّب له فيجب ردّه والحكم بفساده[٢].

---

(١) أجوبة المسائل المهناوية : ١٢١ ، عنه إعلام الخلف: ٢/ ١٧٨.

(٢) تدوين القرآن: ٤٢.

٩- الشيخ البهائي:

الصحيح أنّ القرآن العظيم محفوظ عن ذلك، زيادة كان أو نقصاً، ويدلّ عليه قوله تعالى: ﴿ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾[(١)]

١٠- السيد نور الله التستري:

ما نسب إلى الشيعة الإمامية من القول بوقوع التغيير في القرآن ليس ممّا قال به جمهور الإمامية[(٢)].

١١- الشيخ جعفر الجناجي صاحب كشف الغطاء:

لا زيادة فيه من سورة، ولا آية من البسملة وغيرها، لا كلمة ولا حرف، وجميع ما بين الدفتين ممّا يتلى كلام الله تعالى[(٣)].

١٢- الفاضل التوني:

والمشهور أنّه محفوظ مضبوط كما أُنزل، لم يتبدّل ولم يتغيّر، حفظه الحكيم الخبير قال تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾[(٤)].

١٣- السيد بحر العلوم:

---

(١) آلاء الرحمن : ٢٦ ، عنه إعلام الخلف:١/ ١٧٩.

(٢) نفس المصدر.

(٣) تدوين القرآن : ٤٣.

(٤) الواقية في الأصول، عنه إعلام الخلف: ١/ ١٨١.

الكتاب هو القرآن الكريم، والفرقان العظيم، والضياء والنور، والمعجز الباقي على مرّ الدهور، وهو الحقّ الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، تنزيل من لدن حكيم حميد، أنزله بلسان عربي مبين هدى للمتقين.

ثم ذكر تأويل الروايات التي تذكر أنّ القرآن ربعه أو ثلثه نزل في أهل البيتعليهم السلام، وذكر تأويلها بما لا يتنافى مع حفظ القرآن من النقصان[1].

١٤- الشيخ محمد حسين آل كاشف الغطاء:

وإنّ الكتاب الموجود في أيدي المسلمين هو الكتاب الذي أنزله الله للإعجاز والتحدّي وتمييز الحلال من الحرام، وأنّه لا نقص فيه ولا تحريف ولا زيادة، وعلى هذا إجماعهم[2].

١٥- السيد عبدالحسين شرف الدين الموسوي العاملي:

والقرآن الحكيم لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، إنّما هو ما بين الدفتين، وهو ما في أيدي الناس، لا يزيد حرفاً ولاينقص حرفاً، ولا تبديل فيه لكلمة بكلمة ولا لحرف بحرف، وكلّ حرف من حروفه متواتر في كلّ جيل تواتراً قطعياً إلى عهد

---

(١) إعلام الخلف: ١/ ١٨٤.

(٢) المصدر السابق.

الوحي والنبوّة.

ثم ذكر رضوان الله تعالى عليه ما افتراه بعض السذّج على الشيعة بتحريف القرآن فأقول : نعوذ بالله من هذا القول ونبرأ إلى الله تعالى من هذا الجهل، وكلّ من نسب هذا الرأي إلينا جاهل بمذهبنا أومفترٍ علينا، فإنّ القرآن العظيم والذكر الحكيم متواتر من طرقنا بجميع آياته وكلماته وسائر حروفه وحركاته وسكناته، تواتراً قطعياً عن أئمة الهدى من أهل البيتعليهم السلام ولا يرتاب في ذلك إلاّ معتوه، وأئمة أهل البيت كلّهم أجمعون رفعوه إلى جدّهم رسول اللهصلى الله عليه وآله عن الله تعالى، وهذا أيضاً ممّا لا ريب فيه.

وظواهر القرآن الحكيم فضلاً عن نصوصه أبلغ حجج الله تعالى وأقوى أدلّة أهل الحقّ بحكم الضرورة الأوّليّة من مذهب الإمامية، وصحاحهم في ذلك متواترة من طريق العترة، وبذلك تراهم يضربون بظواهر الصحاح المخالفة للقرآن عرض الجدار، ولا يأبهون بها عملاً بأوامر أئمّتهمعليهم السلام.

١٦- السيد محسن الأمين العاملي:

ونقول: لا يقول أحد من الامامية لا قديماً ولا حديثاً: أنّ القرآن مزيد فيه قليل أو كثير فضلاً عن كلّهم، بل كلّهم متّفقون على عدم الزيادة ومن يعتدّ بقوله من محقّقيهم متفقون على أنّه لم

ينقص منه.

١٧- السيد البروجردي الطباطبائي:

قال الشيخ لطف الله الصافي عن أُستاذه آية الله السيد حسين البروجردي: فإنّه أفاد في بعض أبحاثه في الأُصول كما كتبنا عنه بطلان القول بالتحريف وقداسة القرآن عن وقوع الزيادة فيه.

١٨- الشيخ محمّد رضا المظفر:

نعتقد أنّ القرآن هو الوحي الإلهي المنزل من الله تعالى على لسان نبيه الأكرم، فيه تبيان كل شيء، وهو معجزته الخالدة التي أعجزت البشر عن مجاراتها في البلاغة والفصاحة وفيما احتوى من حقائق ومعارف عالية لا يعتريه التبديل والتحريف، وهذا الذي بين أيدينا نتلوه هو نفس القرآن المنزل على النبيّ ﷺ، ومن ادّعى فيه غير ذلك فهومخترق أو مغالط أو مشتبه وكلّهم على غير هدى، فإنه كلام الله الذي ﴿ لا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلا مِنْ خَلْفِهِ ﴾.

١٩- السيد محسن الطباطبائي الحكيم:

وبعد، فإنّ رأي كبار المحققين وعقيدة علماء الفريقين، ونوع المسلمين من صدر الإسلام إلى اليوم على أنّ القرآن بترتيب الآيات والسور والجمع، كما هو المتداول بالأيدي، لم يَقُلْ الكبار بتحريفه من قبل ولا من بعد.

٢٠- السيد محمّد هادي الميلاني:

أقول بضرس قاطع: إنّ القرآن الكريم لم يقع فيه أي تحريف لا بزيادة ولا بنقصان، ولا بتغيير بعض الألفاظ[١].

٢١- السيد أبو القاسم الخوئي:

إنّ حديث تحريف القرآن حديث خرافة وخيال، لا يقول به إلاّ من ضعف عقله، أو من لم يتأمّل في أطرافه حقّ التأمّل، أو من ألجأه إليه يجب القول به.

وأمّا العاقل المنصف المتدبّر فلا يشكّ في بطلانه وخرافته[٢].

٢٢- السيد محمّد حسين الطباطبائي:

فقد تبيّن ممّا فصّلناه أنّ القرآن الذي أنزله الله على نبيّه ﷺ ووصفه بأنه ذكر، محفوظ على ما أُنزل، مصون بصيانة إلهية عن الزيادة والنقيصة والتغيير، كما وعد الله نبيّه فيه.

ويدلّ على عدم وقوع التحريف الأخبار الكثيرة المرويّة عن النبيّ ﷺ من طرق الفريقين الآمرة بالرجوع إلى القرآن عند الفتق

---

(١) الموارد من ١٤ وما بعدها عن البرهان في صيانة القرآن: ٢٣٩، عنه إعلام الخلف: ١/ ١٨٤.

(٢) البيان في تفسير القرآن: ٢٥٧.

وفي حلّ عقد المشكلات[1].

ويبدو أنّ ذلك كاف في ردّ تهمة التحريف التي حاول الآخرون إلصاقها بالشيعة، ولم تجد ما يبرّر التمسّك بهذه التهمة بعد استقراء بعض أقوال علماء الشيعة، في حين أنّ ذلك ـ كما نعتقد ـ غير كاف للأطراف التي تدخل صراعاً سياسياً مع الشيعة وتبقى على إصرارها في التمسّك بهذه التهمة ودفع الآخرين إلى تصديقها.

على أنّنا لا نريد فرض قناعاتنا على الآخرين في براءة الشيعة من ذلك بقدر ما نشير إلى حقيقة نفقد مصداقيّتنا إذا تجاهلناها وهي براءة الشيعة من التحريف بحكم ما يتوفّر لدينا من تصريحات علمائهم فضلاً عن كوننا نفقد الدليل على ثبوت هذه التهمة في نطاق الواقع العملي.

هذا الاعتقاد في شأن براءة الشيعة لم نتفرّد به، فإنّ عدداً من علماء أهل السنّة يؤكّدون ذلك، منهم:

١- الشيخ محمّد أبو زهرة:

القرآن بإجماع المسلمين هو حجّة الاسلام الأولى، وهو مصدر المصادر له، وهو سجلّ شريعته، وهو الذي يشتمل على كلّها وقد حفظه الله تعالى إلى يوم الدين، كما وعد سبحانه إذ قال:

---

(١) الميزان في تفسير القرآن: ١٢/ ١٠٧.

﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ وإنّ إخواننا الإمامية على اختلاف منازعهم يرونه كما يراه كلّ المؤمنين.

٢ ـ الشيخ رحمة الله الهندي:

القرآن المجيد عند جمهور علماء الشيعة الإمامية الإثني عشرية محفوظ من التغيير والتبديل، ومن قال منهم بوقوع النقصان فيه، فقوله مردود غير مقبول عندهم.

٣ ـ الشيخ محمّد الغزالي:

سمعت من هؤلاء مَن يقول في مجلس علم: أنّ للشيعة قرآناً آخر يزيد وينقص عن قرآننا المعروف فقلت: أين هذا القرآن؟! ولماذا لم يطّلع الإنس والجنّ على نسخة منه خلال هذا الدهر الطويل؟

لماذا يساق هذا الافتراء ...

ولماذا هذا الكذب على الناس وعلى الوحي.

٤ ـ محمّد عليّ الزعبي:

لقد اتفق المسلمون ـ ويحزّ في قلبي الألم حين أصفهم بالسنّة والشيعة ـ بعد أن دعاهم الله مسلمين ورضي لهم الاسلام ديناً، اتّفقوا على عصمة القرآن وحفظه منذ عهد نزوله حتّى الآن، فالسنّيون على تعداد مذاهبهم الفقهية المعروفة، والتي أصبحت في

ذمّة التاريخ، والشيعة سواء كانوا إمامية إثني عشرية، أو زيدية أو إسماعيلية: بحرة أم أغاخانية .. جميعهم يرون كتاب الله الموجود بين أيدي الناس معصوماً محفوظاً كما أُنزل، ويعتقدون أنّه هونفسه الذي أنزله الله على رسوله محمدﷺ ووصل إلى الناس دون زيادة أو نقص، نعم هذا ما اتّفق عليه مسلمو العالم في جميع عصورهم وهذا ما سجّله مؤلّفوهم ومحقّقوهم ومخلصوهم، ولو أردنا أن نقول للقارئ راجع كتاب كذا وصفحة كذا لملأنا سجلاً بأسماء الكتب.

٥ ــ وقال البهناوي: إنّ الشيعة الجعفرية الإثني عشرية يرون كفر من حرّف القرآن الذي أجمعت عليه الأُمّة منذ صدر الإسلام.. وإنّ المصحف الموجود بين أهل السنّة هو نفسه الموجود في مساجد وبيوت الشيعة..

٦ ــ وقال الأُستاذ محمّد المديني عميد كلية الشريعة بجامعة الأزهر: وأمّا أنّ الإمامية يعتقدون بنقص القرآن فمعاذ الله..

وقال أيضاً: وقد ألّف أحد المصريين كتاباً اسمه «الفرقان» حشاه بكثير من أمثال هذه الروايات السقيمة المدخولة المرفوضة، ناقلاً لها عن الكتب والمصادر عند أهل السنّة، وقد طلب الأزهر من الحكومة مصادرة هذا الكتاب بعد أن بيّن بالدليل والبحث العلمي أوجه البطلان والفساد فيه، فاستجابت الحكومة لهذا الطلب

وصـادرت الكـتاب.. أفـيقال: إنّ أهل السنّة ينكرون قداسة القرآن؟ أو يعتقدون بنقص القرآن لرواية رواها فلان؟ أو لكتاب ألّفه فلان؟ فكذلـك الشـيعة الإمامـية إنّمـا هـي روايـات فـي بعـض كتـبهم كالروايات في بعض كتبنا[1].

وإذا كان بحث التحريف في نطاق علميّ، فهل يحقّ لهؤلاء أو أُولـئك تكفـير إحـدى الطائفتيـن؟ أم هـي محـاولات السياسـة تُلقي بظلالهـا علـى بحـوث تهمة التحريف لتلصقها وبكلّ إصرار بالشيعة الإمامية الذين يتلون كتاب الله الذي بين الدفتين آناء الليل وأطراف النهار.

(١) راجع إعلام الخلف.

المحتويات



الاصدارات العلمية
لمؤسسة السبطين عليهما السلام العالمية

١ ـ **فقه الإمام جعفر الصادق عليه السلام**: تأليف العلّامة محمّد جواد مغنية رحمه الله أول طبعة محققة في ست مجلدات.

٢ ـ **محاضرات الإمام الخوئي رحمه الله في المواريث**: بقلم السيّد محمّد علي الخرسان.

٣ ـ **عقيلة قريش آمنة بنت الحسين عليهما السلام الملقبة بسكينة**: تأليف السيّد محمّد علي الحلو.

٤ ـ **أدب الشريعة الاسلامية**: تأليف الاستاذ الدكتور محمود البستاني.

٥ ـ **المولىٰ في الغدير، نظرة جديدة في كتاب الغدير للعلّامة الأميني**: تأليف لجنة البحوث والدراسات.

٦ ـ **هدية الزائرين وبهجة الناظرين (فارسي)**: تأليف ثقة المحدثين الشيخ عبّاس القمّي رحمه الله.

٧ ـ **عقيلة قريش آمنة بنت الحسين عليهما السلام الملقبة بسكينة (انجليزي)**: قسم الترجمة.

٨ ـ **مهربانترين نامه (شرح خطبه ٣١ لنهج البلاغة) (فارسي)**: تأليف السيّد علاء الدين الموسوي الاصفهاني.

٩ ـ **قطره‌اى از درياى غدير (فارسي)**: القسم الفارسي للبحوث والدراسات.

١٠ ـ **شهادة فاطمة الزهراء عليها السلام حقيقة تاريخية (أُردو)**: قسم الترجمة.

١١ ـ **شهادة فاطمة الزهراء عليها السلام حقيقة تاريخية (انجليزي)**: قسم الترجمة.

١٢ ـ **قطره‌اى از درياى غدير (أُردو)**: قسم الترجمة.

١٣ ـ **أنصار الحسين عليه السلام.. الثورة والثوار**: تأليف السيّد محمّد علي الحلو.

سيصدر قريباً عن مؤسسة السبطين عليهما السلام العالمية

١ ـ **مفاتيح الجنان (معرب):** تأليف المحدث الكبير الشيخ عباس القمي قدس سره أول طبعة محققة ومدققة مع المنابع والمصادر الأصلية.

٢ ـ **هدية الزائرين وبهجة الناظرين (معرب):** تأليف ثقة المحدثين الشيخ عباس القمي قدس سره يقدم لأوّل مرّة للمؤمنين باللغة العربية يشتمل في دفتيه تعريف كامل لمراقد الأنبياء الكرام والمعصومين عليهم السلام والصلحاء والعلماء رضوان الله عليهم، وبيان فضائلهم والزيارات المتعلقة بهم وأعمال المؤمنين في اليوم والأسبوع وأشهر السنة والمناسبات الإسلامية.

٣ ـ **بضعة المصطفىٰ صلى الله عليه وآله:** تأليف السيد المرتضىٰ الرضوي، تحقيق وتنظيم مؤسسة السبطين عليهما السلام العالمية، يشتمل علىٰ حياة فاطمة الزهراء عليها السلام من الولادة وحتىٰ شهادتها عليها السلام.

٤ ـ **فقه الإمام جعفر الصادق عليه السلام:** الطبعة الثانية المدققة والمحققة، دورة في ست أجزاء: تأليف العلّامة محمّد جواد مغنية. الإعداد والتحقيق مختص بمؤسسة السبطين عليهما السلام العالمية ولا غير.

٥ ـ **معالم العقيدة الإسلامية:** لجنة تأليف وتحقيق المؤسسة.

٦ ـ **معالم التشريع الإسلامي:** لجنة تأليف وتحقيق المؤسسة.

٧ ـ **معالم الأخلاق الإسلامية:** لجنة تأليف وتحقيق المؤسسة.

٨ ـ **في العقيدة الإسلامية:** (انجليزي) قسم الترجمة.

هذا الكتاب

يضم بين دفتيه دراسة تاريخية تحليلية موجزة عن الأسباب والدوافع التي انبثقت من خلالها فرية تحريف القرآن الكريم والتي حاول البعض تسويقها وإلصاقها بالشيعة الإمامية والذين هم أبعد مايكونون من غيرهم عن هذا الإتهام.

وهذا ما أثبته الباحث من خلال الروايات والأحاديث الشريفة، وأقوال علماء الشيعة والسنة على حدّ سواء.